١١٣

روايات أحلام

قيد الرمال

www.liilas.com
طوق الياسمين

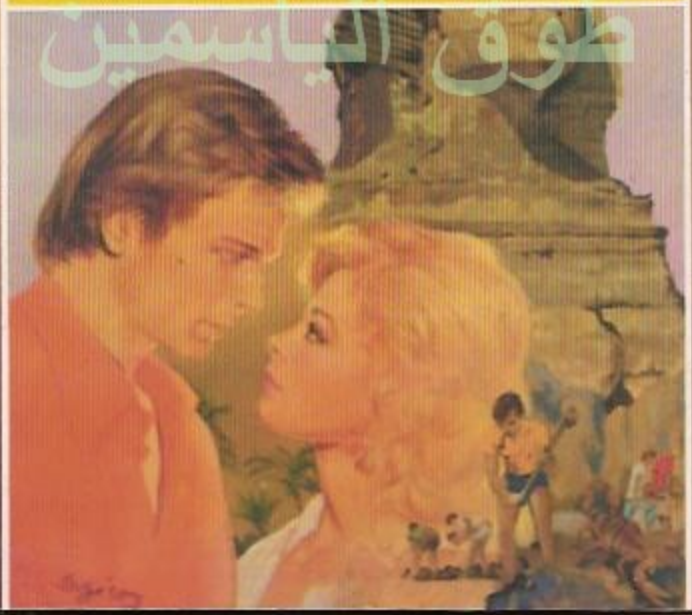

روايات أحلام

قيد الرمال

إنها ذاهبة إلى مصر ! إنها ذاهبة لرؤية الأهرامات ! وتغلب شعور بالبهجة على سيليا فلم تفكر في ما عدا هذا...

ولكن كل ما رأته فعلاً في مصر هو موري بروكس، وممنوع عليها أن ترى شيئاً آخر أو تفكر في شيءٍ آخر... هل تستطيع أن تحتج؟ أن تطالب بحقوقها؟ هذا مستحيل... فموري يريدها أداة عمل فقط، وحذار يا سيليا أن تقرري أن تكوني أنثى أمامه! حذار أن تخونك عواطفك!

لبنان ٢٠٠٠ ل.ل. الإمارات ٦ د. مصر ٤ ج. ليبيا
سوريا ٥٠ ل.س. قطر ٦٠٠ ر. المغرب ١٥ د. اليمن
الأردن ١ د. البحرين ٦٠٠ ف. تونس ١,٥ د. السودان
الكويت ٥٠٠ ف. السعودية ١٠ ر. عمان ٦٠٠ ب. العراق

روايات احلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة
والنشر والتوزيع ش.م.م.
ص.ب: ١١/٨٢٥٤ ـ بيروت ـ لبنان.
العنوان: بيروت ـ طريق المطار ـ قرب جسر المطار
سنتر زعرور ـ الطابق الثالث.

المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم
جميع حقوق الطباعة والنشر والاقتباس والتأليف محفوظة للشركة.
التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات

تنفيذ وطباعة مؤسسة دلتا للطباعة والنشر
حارة حريك ت: ٨٢٣١١٨ ـ ٣٨٧١٥٨ ـ ٠

١ ـ مشكلة في القاهرة

اعترفت «سيل» لنفسها أنها لا تشعر برغبة في الخروج مساء ذلك الاثنين.. ولم تكن قادرة أن تقول لماذا لم يرق لها فريق «بيكون» المسرحي مساء تلك الليلة من أيام شباط.. فصبت لنفسها ثاني فنجان قهوة.. وهي لا تعتقد أن للطقس الكئيب القائم علاقة بما تشعر.

احتست القهوة بصمت. وبعد بضعة دقائق حملت أطباقها المتسخة من غرفة الطعام إلى المطبخ الأنيق العاجي اللون الذي يتخلله اللون الأخضر الشاحب وكانت تعرف أنها ستخرج لأنها غير معتادة على خذلان أحد.. فصديقتها بحاجة إلى من يرفع معنوياتها بعد ابتلائها بليستر آلمور.

بدأت سيل بغسل الصحون، وهي تفكر في أن ليستر لم يطلب من باتي حتى الآن الخروج معه. ولكن زياراته المتكررة لفريق بيكون المسرحي، وهو فرع من نادي بيكون الرياضي الاجتماعي، تعطي ثمارها.. وهي واثقة أنها لمحت بريق الاهتمام في عيني ليستر في أثناء التجارب.. يعمل ثلاثتهم في شركة بيكون للنفط، في لندن، هي و«باتي» في قسم السكرتارية أما «ليستر» فيعمل في شؤون الموظفين.

فكرت في يوم الجمعة الماضي فوجدت أنها كانت تشعر بما

تشعر به اليوم ولعلها بدأت تشعر بحاجة إلى ما هو أكثر إثارة من وظيفتها الحالية فقد أدركت أنها كانت غير مازحة عندما سألت ليستر عما إذا كانت دائرته قد تلقت علماً بأي وظيفة مثيرة للاهتمام شاغرة في قسم السكرتارية وقد سألها يومذاك:

ـ أتجدين دائرة الحسابات مملة؟

أجابت:

ـ لها ميزاتها، لكنها لم تعد تثير التحدي.

قال ليستر: «ليس هناك الآن ما هو أكثر تحدياً من الانتقال إلى دائرة النفقات».

ـ أظن أن من الأفضل لي البقاء في مكاني أنا.. فلا أرى أن «النفقات» تختلف كثيراً عن «الحسابات»..

تركت مطبخها الأنيق المرتب وتأهبت للذهاب إلى منزل باتي. إنها تعرفها منذ ثلاث سنوات أو بالأحرى منذ وضعت قدمها على أول درجة في عالم السكرتاريا في شركة بيكون للبترول وكانت يومذاك في العشرين من عمرها.

حاولت سيل لرفع معنوياتها المحبطة أن تعدد النعم التي تنعم بها.. لديها وظيفة جيدة، بل جيدة جداً.. نعم لقد عملت جاهدة لتنجح وكان أن كوفئت على إخلاصها بالترقية عدة مرات في سنوات عملها الثلاث في شركة بيكون للنفط.. وها هي الآن تعمل عند السيد روبرتس، رئيس دائرة المحاسبة.

كانت السرية جزءاً من عملها وهذا ما وسّع من قدراتها.. لكن بعد العمل مع السيد «روبرتس» مدة ستة باتت لا تشعر بأن قدراتها تتقدم.

غادرت شقتها وهي تقول لنفسها ان عليها ألا تصاب باليأس، وأن تحافظ على قناعتها، فأجرها جيد بالنسبة لعملها.. فالراتب

المرتفع الذي تدفعه لها الشركة مكنها من شراء شقة صغيرة أنيقة، وسيارة مقبولة.

كانت وباتي تتبادلان الأدوار في استخدام سيارتيهما، وفيما كانت سيل تقود سيارتها إلى منزل صديقتها حاولت إقناع نفسها بأن طقس شباط هو الذي يجعلها تحس بعدم الاستقرار.. وربما كان الجميع يحس بما تشعر به.

كانت سيل قد انضمت إلى الفريق المسرحي بسبب إلحاح باتي ولكنها تدرك أنها غير قديرة في التمثيل وهذا ما جعلها تكتفي بالجلوس لتخبط الثياب أو لتقوم بأي شيء آخر. أما باتي وسائر الفريق فكانوا ينكبون على تمارينهم.

عندما دخلت الصديقتان إلى القاعة صاحت باتي صيحة مكتومة ملؤها خيبة الأمل «إنه ليس هنا!» فأسرعت سيل تحاول إبهاج باتي:

ـ ربما كان في الخلف في مكان ما.

لكن سيل نفسها لم تكن ترى شيئاً من ليستر آنمور. أخذت باتي تنظر إلى باب خارجي آخر وكأنها تأمل أن يدخل ليستر منه: «أراهن أنه غير موجود هنا».

تبين فعلاً أنه غير موجود، وبعد مضي نصف ساعة من التمرين، وفيما سيل تلقن باتي الكلمات التي نسيتها رفعت رأسها فرأت أن باتي لم تنس في الواقع بل وصول ليستر آنمور هو الذي انتزع الكلام من رأسها.

قال بصوت طنان معتذراً:

ـ آسف على تأخري.. تأخرت في العمل.

علق رجل بالقرب من سيل تعرفه باسم جيري:

ـ ألسنا نحن من ينشغل دائماً!

مع أنها اضطرت إلى إخفاء ابتسامتها لم تستطع سوى الموافقة

على الكلام، فعلى الرغم من أنهم يعملون جميعاً في المؤسسة صور ليستر الأمر وكأن وظيفته أهم من وظيفة أي واحد منهم.

عندما أعلن المخرج استراحة، وأخذ بالتداول مع باتي ومجموعة أخرى، تقدم ليستر إلى سيل فابتعد جيري عنها.. لاحظت سيل نظرة الاهتمام التي صوبها ليستر إليها.. ولكنها عرفت أنه يحاول التظاهر عندما قال لها:

ـ آه.. سيليا، أما زلت تبحثين عن وظيفة يمكنك التشبث بها.. وظيفة مختلفة قليلاً!

همّت أن تقول له إنها غيرت رأيها، ثم عادت وترددت.. فقد لاحظت أنه ناداها باسم سيليا، لا سيل وهو ما يناديها به الجميع فأدركت أنه ألقى نظرة على ملفها الشخصي.. ترى ألديه أسباب جوهرية تدفعه للتأكد من قدراتها ومن الاطلاع على سجلها الذي يضم ملاحظات عن عملها في السنوات الثلاث المنصرمة؟

قالت، بعدما وجدت أنه لا يتطرق إلى هذا الموضوع بغية التأثير فيها:

ـ هذا ممكن.

ـ أنا واثق أنك ستهتمين حين أخبرك..

اتسعت عينا سيل وهي تصغي إليه وهو يقول لها كيف وصلت رسالة بالتلكس في وقت متأخر من بعد الظهر من مكتب مؤسسة بيكون في القاهرة تفيد أن إحدى السكرتيرات الماهرات في الفرع ستعود إلى انكلترا، وانهم يطلبون سكرتيرة أخرى عندها المستوى ذاته، لإرسالها فوراً.

سرعان ما أصبح عقل سيل شبكة مشوشة من الأفكار.. لكن وبما أن أفضل رغبات قلبها كانت دائماً رؤية أهرامات الجيزة التي تعرف أنها لا تبعد كثيراً عن القاهرة لم تستطع سوى أن تشهق:

ـ القاهرة! أتعرض عليّ وظيفة في القاهرة؟

سارع ليستر يقول: «إنها وظيفة مؤقتة».

ثم تابع يشرح لها أن مفاوضات دقيقة تجري في القاهرة بشأن عقد تكرير كمية كبيرة من النفط الخام.. وتابع:

ـ أصبيت السكرتيرة المالية هناك بجرثومة ما.. وهذا يذكرني بأن عليك التوجه إلى القسم الطبي غداً لتسألي عن اللقاحات التي ستحتاجين إليها قبل...

أوقفته سيل قبل أن يتابع:

ـ مهلك لحظة! إلى متى هي مؤقتة؟ وماذا سأفعل فيما بعد؟

فجأة خبا بعض انفعالها.. فمن الروعة أن يسافر المرء بسرعة إلى الشرق الأوسط، لكن ماذا سيحدث لها بعد انتهاء هذه المهمة المؤقتة؟ ما زال عليها تسديد أقساط شقتها لذا لن تقبل بسرعة بدون التفكير في طريقة لتسديد هذه الأقساط الشهرية.

يبدو أن لدى ليستر رداً على كل سؤال.

ـ سيرحب السيد روبرتس بك بذراعين مفتوحتين.

وعاد شعور سيل بالبهجة يرتفع مجدداً.

عادت إلى منزلها تلك الليلة وعقلها يدور بالأسئلة والردود التي جرت بينها وبين ليستر، ودخلت إلى شقتها حيث راحت تعيد التفكير في كل شيء.

العقد الذي تكلم عنه ليستر مُوافق عليه تقريباً لأن إقامتها في القاهرة ستكون شهراً ونيف. وهذا الأمر كما فكرت فيه وهي تدخل إلى مطبخها لتعدّ لنفسها شراباً ساخناً، هو أفضل ما يمكن التوصل إليه من وجهة نظر رئيسها السيد روبرتس الذي لن يسمح لها بالذهاب.. لكن، ربما لن يعترض كثيراً إن كانت المدة التي ستغيبها شهراً.. وهذا غياب لا يتعدى زمن عطلتها السنوية.

ولكن عليها ألا تفكر في هذه الوظيفة وكأنها عطلة لأنها اضطرت إلى إنفاق مدخراتها لتأثيث الشقة، وأصبحت العطلة في خبر كان. أبعدت أفكارها عما له علاقة بالعطلات ولو من بعيد.

كانت غير متأكدة أن لليستر القدرة على أن يعرض عليها وظيفة مؤقتة في القاهرة، فهو لا يملك مركزاً عالياً في دائرة شؤون الموظفين.. لكن الفكرة أقلقتها حتى اضطرت إلى التساؤل بلباقة:

ـ أيعرف السيد ترابر أنك تعرض علي هذه..

أدركت أنها لم تكن لبقة لأن ليستر رد مدافعاً عن وقاره وقاطعها:

ـ يستمتع السيد ترابر بأشعة الشمس في مكان ما من الهند..

وفي غيابه بت المسؤول عن المكتب.

ـ أهو في إجازة؟

ووجدت أنها شغلته عن كرامته المهانة حين أجاب أن رئيسه يبتعد دائماً عن شواطىء انكلترا في شهر شباط، ثم تابع يقول إن عليها أن تجلب معها غداً جواز السفر، ليحصلوا لها على إذن الدخول إلى مصر.

ذهبت سيل إلى النوم وهي تحاول كبت إثارتها.. فلقد طلب منها ليستر ألا تذكر شيئاً للسيد روبرتس غداً حتى يتصل بها. وهذا ما جعلها تتساءل مجدداً عما إذا كان متأكداً بمقدار ما أوحى إليها.

تذكرت أنه قال بأن التلكس وصل متأخراً بعد الظهر، ولم تستطع إلا أن تفكر في أن مطالبتها بالتريث تعني اضطراره إلى إقناع شخص ما أولاً في مكتبه بأنها الشخص المناسب لهذه المهمة..

فجأة، أحست بالفخر بنفسها.. ولماذا لا تذهب؟ فشركة يكون للبترول منتشرة في العالم كله.. وغالباً ما ترسل الموظفين والسكرتيرات في مهمات حول الأرض كلها.. مثل تلك السكرتيرة

العائدة من القاهرة.. فلماذا لا تذهب هي؟

أحست بإثارة منعتها من إغماض عينيها. ومرت بعقلها سلسلة من الأفكار قبل أن تغفو. أخيراً تلبدت أفكارها بسبب النعاس..

لكن آخر فكرة عنّت في بالها كانت السؤال عما إذا كان ليستر مهتماً بحصولها على الوظيفة بغية التأثير في باتي بقوة، أو لأنه يريد التفريق بينها وبين باتي فهما يفعلان كل شيء معاً؟ أتراه ملهوفاً لتنحيتها عن الدرب ليخلو له الجو مع باتي؟

طرأت على بالها الفكرة ذاتها في الصباح وهي قاعدة في المكتب. كانت متأكدة من خلال نظرات ليستر إلى باتي من أنه مهتم بصديقتها، ولكن من الغريب ألا يقدم رجل له تباهيه على الطلب من باتي الخروج معه.

ـ صباح الخير سيل.

حياها السيد روبرتس المديد القامة، المعكوف الأنف، الأبوي الوجه، فشعرت سيل فجأة بالذنب يغمرها..

ردت: «صباح الخير سيد روبرتس».

أرادت أن تخبره بنقاشها مع ليستر ليلة أمس، ولكنها تذكرت ما طلبه ليستر منها.

بعد ساعة ظنت أنها أحسنت صنعاً لأنها لم تخبر السيد روبرتس بشيء.. فعلى ما يبدو أنه ليس هناك ما تخبره به. وبدأت تدرك أن الوظيفة المؤقتة في مصر قد تحولت إلى سكرتيرة أخرى، فانزعجت.. إنها مؤهلة كالكثيرات، ولا بد أنها من أفضل السكرتيرات.. وإلا لماذا عهدوا إليها بهذه الوظيفة التي تقوم بمهماتها؟

بعد دقيقة رن جرس هاتفها، وقال ليستر آشمور:

ـ من الأفضل أن تحاولي الحصول على إذن دخول.

ـ أتعني.. أنني ذاهبة.

رد متباهياً: «ألم أعدك بها؟»

لكن سيل ساعتئذ باتت غير مهتمة بتباهيه، فهي ذاهبة.. إلى مصر! إنها ذاهبة.. لترى الأهرامات!

لكن السفر إلى مصر لم يكن بالسرعة التي كانت مطلوبة. فقد كان عليها عدا إذن الدخول، والرسميات الأخرى اللفاحات التي نصحوها بها.

لكن شخصاً في شؤون الموظفين أعلم السيد روبرتس بأن سكرتيرته توشك أن تسافر في مهمة إلى مصر. وعلى ما يبدو أن الاتصال تمّ في ما كانت سيل تتكلم مع ليستر. لكن رئيسها لم يظهر مستاءً عندما دخل إلى مكتبها ووجدها تعيد السماعة إلى مكانها.

ـ ما هذا الذي سمعته عن سفرك إلى القاهرة في مهمة ذات أهمية قصوى؟

سألته بهدوء: «ألديك اعتراض؟»

رد ساخطاً: «أجل.. ولكنني لن أعترض لأن المهمة مؤقتة».

ـ سأعود قبل أن تلاحظ غيابي.

قامت بكل الترتيبات اللازمة لتحلّ محلها سكرتيرة أخرى وبترتيبات السفر وما هو إلا أسبوع حتى كانت جاهزة. أمضت سيل عطلة الأسبوع مع والديها في منزلهما الكائن في «ايستبورن».. ثم عادت أدراجها إلى لندن بعد غداء يوم الأحد لتضع في الحقائب كل ما جهزته في أمسيات الأسبوع.

لم تفارقها الإثارة قط، حتى بعدما حطت الطائرة في مطار القاهرة بعد الساعة الرابعة والنصف من بعد ظهر الاثنين.. وما إن استلمت حقائبها ومرت بدائرة الجوازات حتى كانت الساعة تقارب الخامسة.. أخذت سيل تفتش عن الشخص الذي أرسل لملاقاتها.

مضت فترة لم تتعد الدقائق خلت فيها منطقة الانتظار من المنتظرين ففهمت أن من أرسل ليستقبلها تأخر.. بعد مرور خمس عشرة دقيقة، وجدت أنها أمام معضلة، ماذا لو نسي الشخص المكلف باستقبالها أمرها أو وقعت حادثة له؟ الساعة الآن الخامسة ولا تعرف إن كان المكتب في القاهرة يعمل من التاسعة حتى الخامسة يومياً.. رأت أن من الأفضل لها أن تتصل بطريقة ما بمكاتب الشركة.

لم تجد صعوبة في إيجاد تاكسي حين خرجت من مبنى المطار، ولكنها وجدت صعوبة في إبعاد عيني سائق التاكسي عن شعرها الأشقر الطويل.

سألته وهي تأمل أن يفهم الإنكليزية:

ـ أيمكنك أن تقلّني إلى شركة بيكون للنفط في القاهرة؟

من حسن حظها أن يتكلم الانكليزية، وليس هذا فحسب بل عرف فوراً أين تقع مكاتب شركة بيكون للنفط.. وضع السائق حقائبها في صندوق السيارة بسرعة، وانطلق وسيل كلها أمل بألا تجد المكاتب مقفلة.

إن ساءت الأمور بإمكانها المبيت ليلة في فندق.. لكنها تضرعت إلى الله ألا يبلغ بها الأمر إلى هذا الحد، وأغلقت عقلها عن التفكير في أن يكون شهر شباط هو ذروة الموسم السياحي، وأن تكون كل الفنادق محجوزة.

بعدما توقفت عن التفكير في المشكلة راحت تنظر إلى ازدحام السير الذي أقل ما يصفه المرء بالرهيب. السير في مصر هو إلى جهة اليمين عكس انكلترا، ولكن السيارات كانت تتجه إلى أقل شق صغير للمرور. بلغ قلبها حنجرتها حين بدا لها أن السائق اتجه بسيارته نحو رجل جالس على حمار خطر له أن يسير في قارعة

الطريق. لكن الحمار لم يصب بأذى والتفت لتنظر إلى الخلف مصدومة، فشاهدت أنه كان غافلاً عما حوله.

نسيت كل شيء وهي تنظر إلى الأمام مجدداً.. لاحظت أن التاكسي يبطيء المسير.. وتنفست الصعداء عندما توقف السائق أخيراً أمام مبنى أنيق، زجاجي الواجهة. نظرت من النافذة، فقرأت لوحة مدون عليها «بيكون للبترول» ارتدت إلى السائق تطلب منه انتظارها ريثما تتحقق من المكاتب.

لكن السائق كان قد خرج من السيارة، ودار حول السيارة ليخرج حقائبها. فغادرت السيارة بسرعة، واتجهت نحو أبواب الشركة.. استجابت الأبواب لحسن الحظ، فدخلت وسائق التاكسي يلحق بها.

ما إن وصلت إلى داخل المبنى حتى رأت رجلاً في أواخر العشرين من عمره، متوسط الطول، فسألته:

ـ أتتكلم الانكليزية؟

رد بلكنة لندنية صرفة: «معظم الأوقات.. من أنت؟»

ـ أنا السكرتيرة البديلة من لندن. وصلت للتو من المطار.

رأت رغم ذهوله الشديد أنه استطاع استعادة وعيه بسرعة.. تناول حقائبها من السائق، وجرى بينهما جدال باللغة العربية، وقبل أن تعرف شيئاً، نقده ثمن أجرة التاكسي، وأبعد السائق.

ارتد إليها يقول:

ـ القاعدة رقم واحد: لا تدفعي المبلغ الأول الذي يطلبونه.. في الواقع كان عليك الاتفاق على الأجرة قبل دخولك إلى التاكسي.

ـ كم أدين لك؟

ـ انسي الأمر. سأضيف المبلغ إلى النفقات العامة.. اسمي إيڤان جونز.

ومد يده لها.

ـ سيل سوفتنغ. لم أدر ما أفعل حين وجدتني بمفردي في المطار..

صمتت لدى انفتاح باب يصل إلى مكتب داخلي، وخروج رجل في مثل عمر إيڤان، الواضح أنه خرج عندما سمع الأصوات.

قال إيڤان بلهجة تنم عن دهشة لوجودها أصلاً:

ـ انظر ماذا لدينا هنا! هذه سيل سوفتنغ من مكتب بيكون في لندن.. سيل، هذا مدير مكتب شركة بيكون في القاهرة اليكس بايرد.

قال اليكس وهو يمد يده أيضاً:

ـ تشرفت بمعرفتك سيل.

ـ ألم تتوقعوا وصولي؟

رد اليكس: «انتظرنا في الأسبوع الماضي بديلة. كان على فرع لندن أن يعلمنا.. ولكنك هنا الآن وأهلاً بك.. متى تناولت طعاماً؟»

لم تتوقع سؤالاً كهذا ولكن بسبب خمود الإثارة التي اختبرتها ساعات أدركت أنها جائعة.

ـ تناولت وجبة في الطائرة.

ـ أي منذ ساعات.. كنت أنا وإيڤان على وشك تناول الطعام.. اتركي حقائبك هنا.

نظر إلى ساعته وقال لإيڤان:

ـ لن يكون هنا قبل ساعتين.. ومن الأفضل أن نذهب الآن.

كان الثلاثة جالسين في مقهى فندق، وسيل منكبة على طبق عجة بالجبن حين علمت المزيد عمن يتوقعون وصوله بعد ساعتين.

لم تكن على علم بالمكان الذي ستلقي رأسها عليه تلك الليلة

ولكنها على أي حال في صحبة رجلين من مواطنيها، وهما يعرفان القاهرة جيداً، فقد أمطراها بملاحظات عما عليها أن تفعله أو لا تفعله، مثلاً قالا لها إنه في الوقت الذي يجب ألا تحاول الحصول على تخفيض للسعر من المحلات الكبرى، من الضروري الجدال في الأسواق الشعبية.. والأكثر، أن ما يفسد متعة تجار الأسواق، ألا يدخل الزبون معهم في لعبة التفاوض والجدال.

على أي حال، لم تعد مسألة المكان الذي تبيت فيه تلك الليلة أمراً مهماً بعدما عرفت بأن اليكس هو الشخص الذي يدير المفاوضات بشأن عقد تكرير النفط الخام، لذا لا شك أنها ستعمل معه.

كانت تهمّ بطرح سؤال عليه عن الجرثومة التي أصيبت بها سكرتيرته السابقة فدفعتها إلى العودة إلى البلاد.. ولكن إيڤان قال فجأة إن وصولها اليوم توقيت جيد فاليوم أفضل من الغد.

فسألت:

ـ لماذا بالتحديد؟

فأجاب: «لأننا نقفل في الخامسة ونترك العمل اليومي».

ـ وهل من سبب جعلكما لا تغادران اليوم في الخامسة؟

قال اليكس:

ـ صحيح.. اتصل موري بروكس قبل وصولك مباشرة..

ـ موري بروكس؟

كان هذا الاسم كالأسطورة في شركة بيكون في لندن. صحيح أنها لم تقابله ولكنها تعرف اسمه جيداً.. فهو إضافة إلى مركزه في مجلس الإدارة «حلال المشاكل» في الشركة أينما وجدت في العالم.. سألت وهي تشعر بالإثارة مرة أخرى:

ـ وهل موري بروكس هنا.. في مصر؟

ازدادت إثارتها حين سمعت رد اليكس:

ـ ليس في مصر وحسب، بل في طريقه إلى القاهرة في هذه اللحظات.

ـ من أين هو آت؟

ـ من الاسكندرية.

وعرفت الآن أن سبب وجود اليكس وإيڤان في الشركة هو اتصال موري بروكس الذي هو في طريقه ليوقع أوراقاً جهزاها له.

عادت برفقتهما إلى المكتب.. في ذلك الوقت كان نور النهار قد ولى، وبدأت تشعر بأنها لن تعترض أبداً إن أعطاها أحدهما ولو تلميحاً عن المكان الذي ستخلع فيه حذاءها تلك الليلة.. لكنها قررت ألا تسأل.. فمن الواضح أن اليكس وإيڤان متوتران، بسبب زيارة السيد بروكس..

كانت الساعة تقارب الثامنة، عندما قال اليكس الواقف قرب النافذة:

ـ إنه هنا!

هبَّ إيڤان واقفاً فانتقلت العدوى إليها، لأنها ما إن انفتح الباب الخارجي حتى كانت واقفة. اعترفت لنفسها أنها كانت منفعلة بسبب فكرة اللقاء بالسيد موري بروكس الذي طالما سمعت به.

بعد دخول الرجل المديد القامة العريض المنكبين الأشقر الشعر إلى الغرفة، لم تعد سيل واثقة من أحاسيسها فقد بدا لها موري بروكس في السابعة والثلاثين، حوله هالة من المعرفة والسيطرة على كل شيء أما عيناه الرماديتان فلا تفوتان شيئاً أبداً.

دخل وحقيبة أوراقه في يده. أحنى رأسه للرجلين، ثم ركز عينيه الحادتين على عينيها البنيتين الواسعتين، وقال ببرود:

ـ من أنت؟

لم تكن سيل معتادة على أن يكلمها أحد بهذه الطريقة، لكنها لم تجتز هذه المسافة كلها لتتجادل مع أحد أعضاء مجلس إدارة الشركة.. فكان أن جمعت شتات نفسها كي لا تتأثر بسرعة، وقالت بصوت واضح النبرات:

- اسمي سيليا سوفتنغ.. أنا بديلة السكرتيرة التي عادت إلى انكلترا في الأسبوع الماضي.

قاطعها بفظاظة: «رباه! أنقولين إنهم غضوا النظر عن تعليماتي وأرسلوك بديلة عن ديان ماكفرسون؟»

- أعتقد أن هذا ما فعلوه.

لكن هذا لم يكن كل ما اعتقدته، فما ان رنت كلمته «تعليماتي» في أذنها حتى تلاشت بسرعة كل الإثارة التي شعرت بها نحوه.. إذ علمت أنها أخطأت الظن عندما اعتقدت أنها ستعمل مع اليكس بايرد.. فجأة وهي تحدق إلى عيني موري بروكس تلقت ذبذبات مؤكدة بأنه سيكون رئيسها المؤقت.

فيما كانت عيناه الحادتان تحدقان إليها شعرت أن وظيفتها المؤقتة لن تدوم أبداً.. لأنها وهي تنظر إليه قرأت الدلائل بشكل صحيح.. فإن موري بروكس سرعان ما سيأمرها بالعودة إلى انكلترا على متن الطائرة القادمة!

* * *

٢ ـ لا أريدك أنثى

لم تعرف كم من الوقت ظل موري بروكس وسيل يتبادلان النظرات الحادة، فقد كانت ساخطة منه مرتبكة من تصرفه، ومن كونه الرجل الذي أرسلت إلى مصر للعمل معه، حتى نسيت أن هناك من يراقبهما.

لكن موري بروكس لم يكن ناسياً.. فمع أنها كانت تتابع التحديق إلى عينيه الباردتين الفولاذيتين، نقل بصره إلى الشاهدين الآخرين، ثم أمرها بفظاظة:

- الحقي بي!

ارتدّ على عقبيه دون أن يستأذن من مدير فرع القاهرة ودون التأكد من أنها تلحقه ودخل إلى مكتب اليكس بايرد.

أقفلت سيل الباب خلفهما.. إن كان لديه ما يقوله من كلمات فظة فهي تفضل ألا يسمعها أحد.

صاح قبل أن تترك أصابعها الباب:

- من عينك لهذه الوظيفة؟

- ليستر.. ليستر آلمور. من شؤون الموظفين، إنه يعمل هناك.

أملت أن تبدو الأمور أفضل حالاً ولكنها اكتشفت أنها جعلتها أسوأ بكثير.. إذ سألها بلهجة اتهام:

- هل هذا الآلمور صديق لك؟

أحست سيل للمرة الأولى بأنها حشرت في الزاوية، ولم يعجبها هذا الإحساس.

ـ أجل.. ولكنني حصلت على العمل بجدارتي وليس بواسطة شبكة «الصداقات».

ـ هل أنت واثقة من هذا؟

ترددت سيل قليلاً.. ولكنها أدركت أن الرجل الحاد العينين الذي تقف أمامه، قد لاحظ ذلك التردد..

ـ أجل.. كل الثقة.

ـ لقد استدعيت إلى قسم شؤون الموظفين، أليس كذلك؟

أدركت سيل أن أمامها رجل ينتزع الحقيقة من أي كان، أراد الكشف عن الظروف أم لم يرد.. فسألت:

ـ وهل هذا مهم؟ أخبرني ليستر آتمور عن هذه الوظيفة الشاغرة تلك الليلة لأننا كنا معاً، بعد التلكس الذي وصل.. ولكنني أعمل في شركة بيكون منذ ثلاث سنوات. ولا شك أنه قرأ ملفي الشخصي، ورأى أنني.. كفؤة ومؤهلة لهذه الوظيفة.

ظلّ موري بروكس مدة ثانيتين ينظر إليها ببرود، ثم هز جسمه قليلاً وسألها مجدداً:

ـ هل تشمل كفاءتك الفائقة الطلاقة في اللغة العربية؟

ـ أنا.. لا.. لم يقل لي ليستر..

عرفت أنها ستعود سريعاً إلى انكلترا.. وأنها بقولها هذا لا تسدي لليستر خدمة.

ـ لم أعرف أنك تطلب سكرتيرة تجيد اللغة العربية.

ولكنها بدأت تحس بالسخط.. ففي الوقت المحدود المتوفر، كان من الصعب جداً أن يجد ليستر سكرتيرة تتقن العربية.

قال موري بروكس وشظايا الثلج تومض في عينيه:

ـ الواضح أنه لم يخبرك كذلك أنني طلبت رجلاً من أجل المهمة!

ردت: «لا شك أن الأمر التبس عليه بسبب التلكس.. مع أنني أظن أن عليّ أن أشير، في حال مرور زمن طويل على غيابك عن بريطانيا الكبرى، أن هناك شيئاً اسمه المساواة بين الجنسين ساري المفعول الآن في بلادنا.. وليس من..»

وهذا كل ما استطاعت أن تقول.. لأن رئيس مفاوضي الشركة قاطعها:

ـ فلتذهب المساواة إلى الجحيم!

فجأة أغضبها أن يصيح بها هكذا شخص ما، فردت بحدة:

ـ وهذا أمر مثالي من رجال مثلك!

ـ أنت لا تعرفين شيئاً عن رجل مثلي! ولن تعرفي!

ـ ولا أريد أن أعرف.

في كلماته تأكيد بأنها لن تبقى هنا، فشعرت بغضب لم يسبق أن شعرت بمثله وأردفت بحرارة:

ـ لا أستغرب أن تعود ديان ماكفرسون إلى بلادها مريضة.

العجب الوحيد..

قاطعها بصوت عاصف: «اعلمي أن ديان ماكفرسون لم ترجع إلى انكلترا بسبب المرض بل لأنني طردتها حين أظهرت أنوثتها وتركت مشاعرها تقف في وجه عملها».

وقفت سيل مصدومة دهشة:

ـ أنت أرسلتها إلى بلادها؟ أنت طردتها؟

رد بفظاظة: «هذا ما قلته».

لم تستطع تصديق ما سمعت:

ـ بسبب عواطفها؟

- لقد استدعيت إلى هنا بعدما تعثرت المفاوضات مع شركة «اوزوريس» وجئت لأعمل، وجاءت هي من أجل العمل أيضاً. العمل الذي أتولاه متعب بما فيه الكفاية هذا دون اضطراري للتعامل مع أنثى تعمل هرموناتها بشكل زائد!

صاحت تكرر مذهولة: «تعمل هرموناتها بشكل زائد!»

قال بقسوة:

- لا أدري كيف تصفين المرأة التي تأخذ على عاتقها إعلان حبها الذي لا يموت؟

اتسعت عيناها في وجهها، وسألت يأسى:

- لك أنت.. ديان ماكفرسون قالت لك إنها تحبك؟

- إذا كنت سكرتيرة أمينة، لن تكرري ما سمعته خارج هذه الغرفة.

- وكأنني سوف..!

صمتت.. هل تتصور ما رأت.. أهناك إشارة إلى أنه قد يسمح لها بالبقاء لإتمام العمل الذي أرسلت من أجله؟

لم ينتظر حتى تتمّ جملتها بل حتى هدد:

- من الأفضل لك ألا تفعلي! وإن كنت مهتمة بتحسين مستقبلك في الشركة فعليك ألا تتركي هرموناتك تخرج عن سيطرتك وأنت تعملين لي!

- يا لأجدادي! من الأفضل لي...

- لدي متاعبي التي تكفيني في تسوية المصاعب التي يضعها بديع حسني يومياً في طريقي، هذا دون اضطراري إلى قضاء وقت إضافي لأعيد النظام إلى موظفة تقرر أن تكون أنثى أمامي.

لم تعرف سيل من هو بديع حسني ولكنها لم تكن مهتمة وقتئذ بمن يكون. فقد كانت تنظر إلى موري بروكس بذهول كامل..

الرجل يرهق أعصابها! هذا الرجل يحذرها من التفكير فيه على نحو رومانسي.. وهو فعلاً يحذرها من هذا!

قالت عندما استردت أنفاسها:

- أؤكد لك سيد بروكس...

ولكنها صمتت مجدداً، لقد عرفت أنها باقية شرط أن تحسن التصرف.. تسارعت إلى عقلها ذكرى رغبتها الشديدة في رؤية أهرامات الجيزة، وسرت إثارة معهودة في نفسها، وعرفت أنها رغم اضطرارها للعمل لهذا الجلف الظالم، ترغب في البقاء.

سأل بقسوة: «نعم؟»

ذكرها تساؤله بأنها لم تقل له بعد ماذا تؤكد له، فكررت:

- أؤكد لك أن النفط قد ينقلب إلى ماء قبل أن تحتاج إلى فرض قواعد السلوك علي في هذا المجال.

هل أملت بهذا أن تطعن غروره ولو قليلاً.. إذن أصيبت بخيبة أمل لأنه لم يتأثر، بل جأر ومن ثم أمرها:

- هه! أخرجي وانتظري في المكتب الخارجي.. وقولي لبايرد أن يدخل.

فكرت سيل: هل سمع بكلمة أرجوك؟ لكنها قالت لأليكس:

- يود السيد بروكس أن يراك.

هرع أليكس إلى مكتبه، أما إيثان فقال بعد إقفال اليكس الباب وراءه:

- كان من المفترض بي أن أذكر لك أن السيد بروكس يريد رجلاً ليحل مكان ديان ماكفرسون.

سرعان ما عادت سيل إلى طبيعتها التي لا تتأثر:

- ليس الأمر مهماً. لا أظن أن أحداً كان يدرك ما هو طلب السيد بروكس.

قال إيڤان شارحاً: لقد طبعنا التلكس هنا.

ابتسمت سيل: «هكذا إذن.. هل من مكان أستطيع فيه غسل يدي؟»

بعد تهربها، راجعت في فكرها المقابلة مع موري بروكس فازداد غضبها. إن الطرد التعسفي من العمل طريقة شيطانية لفرض آداب السلوك على أي إنسان كان! مسكينة ديان ماكفرسون!

غادرت سيل غرفة الملابس بعدما قررت العمل إلى درجة الانهيار لئلا يستطيع موري بروكس انتقاد عملها.. لا شك أنه وافق على بقائها بسبب حاجته اليائسة إلى سكرتيرة.. ومن المؤكد أنه يبادلها الإحساس بالكراهية.

فجأة خطر ببالها أنه ليس بحاجة للإعجاب بها.. أليس كذلك؟ في تلك اللحظة بالذات رسخ ببالها أن السبب الوحيد الذي جعله لا يأمرها بالعودة حاجته إليها في مضمار عمله. فانتظار سكرتير قد يستغرق أسبوعاً آخر.

في هذا الوقت، أدركت سيل أنها متعبة مرهقة، وأنها كانت شاكرة إيڤان جونز على الكرسي الذي قدمه لها أثناء انتظارهما موري بروكس واليكس بايرد لينهيا عملهما في المكتب الآخر.

سألها إيڤان بعفوية وهما منتظران:

- كيف كانت لندن حين غادرتها؟

فكرت حزينة: لندن! حاولت أن تتذكر لماذا كانت ملهوفة إلى مغادرتها.. وتذكرت: الأهرامات.. وابتسمت لإيڤان وهي تسأله:

- منذ متى وأنت بعيد عنها؟

لم تسمع رده لأن الباب الداخلي انفتح وخرج موري بروكس، وحقيبة أوراقه بيده. رأت سيل نظرة الحداد يتحول من ثغرها الملوي إلى إيڤان، ثم إليها مجدداً. فعلمت من نظرته أنها نالت نقطة سوداء

أخرى. الأولى بسبب أنوثتها، والثانية لأنه ظن أنها تمضي الوقت بالعبث مع إيڤان جونز.

قال بأمرها بصرامة: «تعالي معي».

اتجه إلى الباب الخارجي بخطى ثابتة.

تحرك الكيس وإيڤان بسرعة لإعطائها حقيبتها، لكنها سبقتهما إليها.. في هذا الوقت كان موري بروكس قد خرج من الباب. ألقت تحية عابرة على الرجلين لأنه لم يتسن لها الوقت لتحييهما كما يجب.

- أراكما فيما بعد!

نظرا إلى الحقيبة ثم هرع إيڤان ليفتح لها الباب ولحقت بالرجل الذي بدأت تكرهه فعلاً بدل الإعجاب به.

بعد دقيقة على لحاقها به، أحست بغضبها يغلي ويطفو إلى السطح من جديد. فتوقفت فجأة، ورمت حقيبتها من يدها، مقررة: اللعنة عليه.. هذا يكفي!

ولكن وقت هذا التحدي كان قصيراً.. ففي تلك اللحظة وصل الرجل إلى سيارة سوداء أنيقة، وتوقف هو أيضاً. التقطت سيل حقيبتها مجدداً.. وحتى وصلت إليه، كان قد فتح الباب، وارتد ليفتح الصندوق.

مد يده وتناول الحقيبة الثقيلة التي وضعها في المؤخرة، وكأنها لا تزن شيئاً.

سألته بعدما أغلق الصندوق، وتذكر شيئاً من أدب الكياسة ليفتح لها الباب الآخر:

- إلى أين نحن ذاهبان؟

- إلى الاسكندرية!

تركها تحدق إليه بذهول، ولكنه عاد وارتدّ إلى مقعد السائق.

الاسكندرية!

جمعت نفسها قليلاً، وجلست في السيارة وأغلقت الباب. في هذا الوقت كان موري بروكس قد جلس، وأدار المحرك. رأت سيل أن الازدحام في الشارع ما زال مجنوناً مع أن الوقت تجاوز الثامنة.

انتظرت فقط ولاحظت أنه يقود سيارته بين ذلك الكابوس من السيارات والأبواق المرتبكة. فكرت أن أسئلتها لن تؤثر في قدرته على القيادة.

سألته ببرود: «كم تبعد الاسكندرية؟»

تنازل وأدار رأسه نحوها:

ـ حوالى مئتي كيلو متر.

مئتي كيلو متر! ابتلعت سيل ريقها بصعوبة وكتمت صيحة تعجب.. لأن هذا يعني أن الوصول قد يستغرق أربع ساعات!

ـ ظننت أنني سأعمل في القاهرة.

شخر موري بروكس وقال ساخراً: «بدأت تتذمرين».

استطاعت السيطرة على نفسها ولكن ملاحظته تلك جعلتها تفكر في أنها تفضل الموت على أن تمنح هذا الرجل المثير فرصة لانتقادها ثانية! يا إلهي.. من تستطيع أن تقع في حب رجل كهذا؟ لا شك أن لدى ديان ماكفرسون ضعف في عقلها.

أخذت سيل ترغي وتزبد بصمت بسبب الرجل الذي قادها سوء طالعها إلى الجلوس قربه. ثم خمد تدريجياً غضبها.. لاحظت أنهما تركا القاهرة خلفهما وسارا بسرعة على الطريق الرئيسية، وعادت الإثارة تتصاعد إلى نفسها مجدداً.. فأبعدت مؤقتاً أي تعب تحس به.. إنها هنا..! في مصر.. حقاً! ولم تعد مهتمة بهذا الرجل الحقير الذي يقود سيارته. إنها ماهرة في عملها وسيرى ذلك بأم عينه!

لم تدر كيف تسلل موري بروكس مجدداً إلى أفكارها، ولكنها سرعان ما نحته بعيداً، وركزت بصرها على سلسلة متعاقبة من اللوحات الإعلانية الضخمة.

سرعان ما أصبح لأنوار لوحة القيادة تأثير المنوّم فيها إذ بدأت تغمض عينيها تدريجياً فحاولت أن تبعد النوم عنها.. لكن التعب جمع قواه، وفجأة خسرت المعركة.

عندما استيقظت وجدت أن السيارة متوقفة ففتحت عينيها.. لما عادت إلى كامل وعيها أحست بالرعب لاكتشافها أنها جنحت أثناء نومها وأن رأسها يستند براحة على كتف موري بروكس!

فكرت أعليها أن تعتذر لاستخدامها كتفه كوسادة أم تحجم عن ذلك؟ وتساءلت نظراً لمعرفتها برأيه بديان ماكفرسون عما إذا كان يظن أن عندها النوايا ذاتها. لملمت نفسها قطعة واحدة وقررت ألا تعتذر.

سألته بتحفظ: «أين نحن؟»

فقدت تقريباً كل تحفظها وكل آثار برودها حين رد عليها وهو يخرج من السيارة:

ـ أمام شقتي.

خرجت من السيارة، وانضمت إليه إلى حيث كان يخرج حقيبتها.. وسألت: «لماذا؟»

قال بتحد: «ما قصدك بهذا السؤال؟».

لم ترد بل وقفت تحدق إليه، فنظر إليها نظرة تثير التوتر، ثم قال بصوت عدائي:

ـ الساعة الآن الحادية عشرة.. وأنا أعيش هنا.. إن كنت تظنين أنني سأدور الاسكندرية بك بحثاً عن فندق في مثل هذا الوقت من

الليل، فقد وقعت في الخطأ.

سألت: «أتقول إنني سأقيم هنا؟»

لم يكن هناك مبرر للرد بسبب وجود حقيبتها في يده، وإقفاله لصندوق السيارة. تقدمها إلى البناء السكني ولكنها لم تشكره، فأقل ما قد يفعله هو أن يحمل لها حقيبتها. لكنها كانت مسرورة لأنه، على ما يبدو، فهم من كلامها أنها تفضل الفندق على ضيافته.

لكن، بدا من غير المعقول أن هذا الخنزير القذر الذي يلقي تحية على حارس المبنى باللغة العربية قائلاً: «مساء الخير حسنين»، ينوي اختبارها. بطريقة ما سمعت نفسها تسأل:

ـ هل هناك سيدة بروكس؟

كانا قد وصلا إلى منبسط الدرج في الطابق الأول، وكان يدس مفتاحاً في أحد الأبواب حين رد بعجرفة:

ـ لدي أم.. في انكلترا.

تمتمت وهي تحس بوخز عجرفته المتعالية:

ـ لن أسألك عن والدك!

فجأة طفح الكيل بها.. وأحست أنها متوترة توتراً يجعلها لا تهتم بما إذا كان سمعها أم لم يسمعها.

لكنه سمعها، ولم تكن لتدهش إن سمعت رداً لاذعاً مؤلماً يرتد إليها بسبب إيحاءها بأنها تشك في أن يكون له أب أبداً. فجأة رأت شفتيه تلتويان.. ولم تصدق أنها أثارت فيه روحه المرحة، إذ سرعان ما عاد إلى تجهمه وتلاشى المرح الذي بان.

قال: «قد أكون «ابن حرام» أكثر مما تظنين آنسة سوفتنغ، لذا لا تجربي حظك كثيراً».

وفتح الباب ليدخلا إلى شقته.

كانت الشقة واسعة فيها أثاث يدل على الترف. كانت الشقة

شقة رجل بكل ما للكلمة من معنى فلا أثر فيها للزهور أو للمسة امرأة، أحست إحساساً بدائياً بأنه لو كان متزوجاً لفرض على زوجته مرافقته إلى حيثما حل.

سألت قبل أن تفكر:

ـ أنت لست متزوجاً؟

وتمنت لو ادخرت أنفاسها، إذ قال بقسوة أصبحت تعرفها:

ـ فليهنأ بالك.. أنا لا أخلط أبداً عملي بهذا النوع من التسلية!

تسارعت عدة أنواع من الردود إلى شفتيها.. ولكنها كبحتها كلها في الوقت المناسب.. إنها متعبة.. ولا شك أنه متعب بعد قيادة السيارة مدة ثماني ساعات من وإلى الاسكندرية.

عندما سمعته يقول إنها غير مضطرة لإقفال باب غرفتها عليها تلك الليلة أثار هذا سؤالاً آخر، فسألته ببرود:

ـ هل لي غرفة نوم أذهب إليها؟

ـ من الأفضل أن أريك المكان.

وتلقت رسالة ثانية، مفادها أنه لا يريد منها أن تقترب من غرفته في الليل بحثاً عن الحمام.

ربما أنا مفرطة الحساسية.. هذا ما فكرت فيه وهو يريها المطبخ والغرف الأخرى.. كان المطبخ حسن التحضير منسجماً مع سائر أرجاء الشقة. ولكنها عرفت بأن الشقة قد تكون ملكاً للشركة.

بدا له أن يسأل بعد انتهاء جولتهما في الشقة:

ـ هل أنت جائعة؟

هزت رأسها نفياً:

ـ أريد سريري فقط.. فأنا مستيقظة منذ...

تلاشى صوتها بسبب نظرته الشرسة، واقتنعت أنه على وشك أن يرميها بقول مفاده: «انقذيني من نذمر النساء» فصرت على شفتيها،

وتقدمت لتحمل حقيبتها.. فسألها ساخراً:

ـ هل أنت متعبة تعباً يجعلك لا تتمكنين من تحضير فراشك؟

لمّا هزت رأسها نفياً حمل إليها الشراشف واقتادها إلى إحدى الغرف، ثم قال لها: «عمت مساء».

ردت سيل ببرود، وسرعان ما أقفل الباب عليها.

يا له من خنزير!

فتحت الشراشف التي أعطاها إياها.. يا إلهي! إنه غير متمدن!

بعدما حضرت الفراش، دخلت إلى الحمام عبر ممر في الخارج، فغسلت وجهها، ونظفت أسنانها، وكم شعرت بالراحة لأنها لم تقابل مضيفها.. فقد رأت منه في يوم واحد ما يكفيها العمر كله!

خلعت ثيابها ودخلت إلى الفراش، لتراجع كل ما مر بها منذ لقائها به وسرعان ما عاودها غضبها.

لقد حذرها من الاقتراب منه! لقد حذرها فعلاً! وبدأت تحس بمزيد من الغضب. قاومت لتبقى هادئة، لئلا تخرج بحثاً عنه لتقول له ماذا يمكنه أن يفعل بوظيفته!

بعدما استكان غضبها، تذكرت تصميمها وعزمها على أن تربه مهارتها في العمل. فهل ستهرع هاربة إلى انكلترا عند أول حجر عثرة يواجهها؟

لا.. ستبقى، ولن تهرب، مهما فعل موري بروكس.. تعلم أنه لن يتوقف عن إهانتها ولكنها غير مستعدة للعودة على أي حال.. لا، لن تعود قبل أن ترى الأهرامات..

* * *

٣ ـ لا تساوي شيئاً عنده

نامت نوماً متصلاً لم تستيقظ منه إلا في صباح يوم الثلاثاء، فتذكرت أنها ليست في انكلترا، بل في مصر. ابتسمت مبتهجة ولكن ابتسامتها تلاشت حالما تذكرت رئيسها الذي ينوي طردها بصفاقة إن وقعت في حبه.

إنها هنا للعمل لا للاستلقاء في الفراش، ولكنها تمنت لو تحل به مصيبة كالوقوع عن الدرج أو كسر ساقه، أو ما شابه!

كان موري بروكس يحتل حيزاً كبيراً في رأسها، ولربما هذا أمر طبيعي.. دفعت الأغطية عنها ومدت يدها إلى المبدّل.. إنها لا تسمع له حركة ولكن إحساسها ينبئها بأنه من الأشخاص الذين لا ينامون إلا قليلاً.

وثبت أنها على حق في هذا.. فلقد اكتشفت ما إن غادرت فراشها وتوجهت إلى الحمام بأنه نهض وبدأ الحركة في المنزل.. واستحم كذلك. فعندما تقدمت إلى باب الحمام تفتحه، خرج مرتدياً روباً. وفيما كانت تتأمله أدركت أنه يتأملها هو أيضاً. فتمتمت: «صباح الخير».

قال بفظاظة:

ـ استخدمي الماء الذي في الزجاجة لتنظيف أسنانك.

ثم تجاوزها فدخلت إلى الحمام، أما هو فتوجه إلى غرفته.

عندما مدت يدها لتفتح صنوبرة المياه، رأت يدها ترتجف من جراء مقابلتهما وهذا أمر غريب.. لكنها غير معتادة على كره أحد.

ما إن عادت إلى غرفتها حتى ارتدت بسرعة بذلة عملية مؤلفة من قطعتين خفيفتين، ووضعت بسرعة بعض الماكياج على وجهها. علمت أنها لن تنام الليلة القادمة في هذه الشقة.. فرتبت السرير بسرعة وطوت الشراشف. ولم يبق أمامها إلا شد رباط حقيبتها والخروج لتعرف ماذا سيجري الآن.

تركت حقيبتها في الوقت الحاضر، وأخذت حقيبة الكتف ثم خرجت تبحث عن موري بروكس الذي وجدته جالساً في المطبخ.. كان يرتدي بزة لا شائبة فيها وقميصاً حريرياً أبيض، وربطة عنق حريرية.. لاحظت أنه بهي الطلعة، وأنه قد بدأ العمل، فهو يراجع بعض الملاحظات المطبوعة التي يحملها بإحدى يديه، بينما اليد الأخرى تحمل فنجان قهوة.

رفع رأسه وقال لها: «في الإبريق قهوة».

بدا أنه يستحسن ما ترتدي، ثم قطب وعاد إلى الصفحات المطبوعة قائلاً:

ـ اصنعي لنفسك التوست.

وجدت الخبز الذي وضعت منه قطعتين في آلة التحميص ثم صبت لنفسها فنجان قهوة.. ساد الصمت في المطبخ، وهي تمسح الخبز بالزبدة والمربى. أكلت الخبز بصمت ولم تحاول أن تقاطع تركيزه.

أفرغ كوب قهوته أيضاً، وبدل الجلوس والنظر إليه جمعت الأطباق المتسخة وغسلتها ثم جففتها. حينما التفتت إليه وجدت أنه توقف عن دراسة الأوراق، وأخذ يراقبها!

قالت باختصار: «أنا مرتبة بطبعي».

رد بجفاء: «أنا مسرور بما أسمع».

رفع حقيبة أوراقه، ودس فيها ما كان يدرسه من أوراق، وأقفلها، ثم سأل:

ـ جاهزة؟

عرفت سيل من لهجته أن حياتها لا تساوي شيئاً عنده فأسرعت تتبعه. عندما توقف فجأة عند الباب كادت تصطدم به.. نظر إليها نظرة فوقية. قال: «لم أنو أن تكوني ضيفة مؤقتة عندي».

سألت مستغربة: «ماذا؟».

ـ حقيبتك، آنسة سوفتنغ.. حقيبتك!

امتقع وجهها وقد تذكرت حقيبتها، فهرعت تجلبها وعلمت أن بشرة يديها ستصبح قاسية بعد العمل معه..

تمتمت ما إن عادت إليه:

ـ أشكر الله لأن الأمر لن يتعدى الشهر.

ومرة أخرى لم تكن تأبه إن سمعها أم لم يسمعها.

تناول منها الحقيبة بلا تعليق ثم سار بخطى ثابتة نازلاً الدرج ولكنها لم تلمح في الأفق ساق مكسورة.. سارت سيل برشاقة وهي غير مستعجلة للحاق به.. وضع حقيبتها في الصندوق، وكان على وشك الجلوس وراء المقود حين وصلت أمام الباب الآخر.

خطر ببالها وهما ينطلقان أن تسأل إلى أين.. ولكنها شعرت أنها تفضل انتزاع لسانها على طرح أي سؤال عليه.. فليأخذها إلى حيث يريد. بالأمس اعتقدت أنها ستعمل في القاهرة، لكنها اليوم في الاسكندرية، فهل سيقومان برحلة طويلة أخرى قبل أن تصل إلى مكان عملها؟

تركت مصيرها بين يدي الله، وأبعدت تفكيرها عن نفسها، وعن رئيسها المشاكس، وراحت تراقب المناظر التي تمرّ بهما.

كان السير في الاسكندرية مزدحماً كحاله في القاهرة وكانت أبواق السيارات تنطلق بقوة وكان من المثير للاهتمام أن ترى الملابس الغربية تمتزج بالملابس الشرق أوسطية. ورأت سيل نساء يتشحن بالسواد ويضعن الحجاب على رؤوسهن.. كانت الشمس تشع بشدة، وأحست بحرارتها الشديدة، فجأة رأت رجلاً يرتدي ملابس سميكة، ومعطفاً!

كانت تفكر في أنه يستحيل على هذا الرجل العيش في انكلترا إن كان يظن أن مثل هذا الطقس بارد، حين خفف موري بروكس سير السيارة وبدا أنه يفتش عن مكان يقف فيه.

ما إن ترجل حتى ترجلت وتبعته كظله إلى داخل مبنى يشبه المبنى الذي كانت فيه بالأمس في القاهرة. سرعان ما أدركت أنه المبنى الذي فيه مكاتب مؤسسة بيكون للنفط في الاسكندرية.. بدأ ويا لدهشتها يعرفها إلى الجميع.

قدمها إلى امرأة مصرية جميلة:

ـ هذه جميلة التي تعمل على الاتصالات وهذه الآنسة سوفتنغ التي ستبقى معنا مدة..

التفت إلى سيل، ثم تابع:

ـ شهر فقط.. أهذا ما قلته؟

ابتسمت سيل لجميلة التي مدت لها يدها:

ـ هذا صحيح.

ثم قدمها إلى رجل ظهر حالما سمع صوته وقد عرفت أنه سمير، سائق المؤسسة المصري و«المراسل» العام. ثم أدخلها موري إلى المكاتب الأخرى حيث التقت رجلاً في الثلاثين من عمره يعتبر صلة الوصل مع الشركات المصرية المحلية، وهو هيوغو مارتن، وأكمل موري التعارف منادياً إياها «سيليا سوفتنغ» ولكنها

أسرعت تختصر اسمها إلى سيل عندما أخذ هيوغو يدها، ولم تهتم بنظرات رئيسها الحادة فهي تريد منه أن يفهم أن عليه هو شخصياً مناداتها بسيليا أو بالآنسة سوفتنغ.

قال هيوغو مارتن مبتسماً ابتسامة دافئة:

ـ لم يكن في مركز لندن من تملك نصف جمالك عندما كنت أعمل فيه.

قاطعه موري بروكس بحدة:

ـ لو أعدت للآنسة سوفتنغ يدها، مارتن لتمكنا من متابعة عملنا.

ترك هيوغو مارتن يد سيل مرتاعاً، ثم قال بشجاعة بينما موري بروكس يمسك مرفقها ويجرّها إلى الخارج.

ـ أراك فيما بعد.

أدخلها موري إلى المكتب التالي الذي كان فيه ممثل الشركة القانوني دافيد اوربوري، الذي يبلغ حوالى الرابعة والأربعين ويحمل درجة جامعية في القانون الانكليزي، وأساس قوي في القانون المصري.. علمت سيل أنه وموري بروكس يعملان معاً.

ابتسم دايفد وهما يتصافحان:

ـ سرني التعرف إليك سيليا.

فكرت سيل أن الطلب منه استخدام اسمها المختصر أمام موري مبالغة كبيرة فلاذت بالصمت.. بعد بضع دقائق من النقاش الذي دار بين الرجلين صحبها موري إلى مكان عملها.

كان مكتبها في الطابق الأول يعمه النور والهواء وفيه أحدث الآلات.

قال موري: «مكتبي عبر هذا الباب».

دخل إلى مكتبه ثم عاد بعد لحظة حاملاً حفنة من الشرائط

المسجلة، قائلاً:

ـ هدية لك.

ووضعها على مكتبها وفي عينيه نظرة تقول «ستتركك هذه الكمية صامتة فترة» لكنه قال:

ـ يجب أن أخرج الآن.

وتركها تعمل.

ابتهجت سيل عندما رأته يغادر ولكنها فكرت أن أمامها عمل كبير بسبب طرده ديان ماكفرسون بدون مقدمات وهذا يناسبها.. أخيراً ستبدأ العمل.

بعد ساعة وفيما كانت غارقة في مهمتها اكتشفت أن نبرة صوت موري بروكس رائعة، وأن رنته أعجبتها.. لم يكن ذلك الإعجاب قوياً، لكنها أعجبت بطريقة عمله.. إذ لا عيب في جمله الحازمة الواضحة.. ووجدت حقاً أنها تأثرت بقدرته على إملاء مقاطع طويلة عالية التقنية دون تردد أو همهمة.

سرعان ما غرقت مجدداً في عملها، ولم تدرك أن ساعة أخرى مرت حتى انفتح الباب ودخلت جميلة حاملة فنجان قهوة.. ابتسمت الشابة المصرية الجميلة:

ـ أظنك بحاجة الآن إلى فنجان قهوة آنسة سوفتنغ.

شكرتها سيل: «ناديني سيل».

أمضتا بضع دقائق في حديث ودي.. عرفت خلاله سيل أن هناك مصرفاً قريباً، فهي بحاجة إلى عملة مصرية. وكانت جميلة تقول لها:

ـ لكنه يقفل في الثانية عشرة والنصف...

حين رن جرس الهاتف الذي تركته مفتوحاً قبل أن تترك مكتبها، فصاحت:

ـ يجب أن أذهب.. لدي مخابرة!

واختفت بسرعة.

في فترة الاستراحة توجهت سيل إلى البنك، وعادت إلى مكتبها وهي تشعر بأنها أفضل حالاً بسبب وجود المزيد من المال معها بدل الكمية القليلة التي سمح لها بإدخالها إلى البلاد.

ما زال أمامها عمل كثير.. ولأنها لم تشاهد موري بروكس منذ خرج، فقد عادت إلى عملها مرة أخرى. وكانت تعمل على إنجاز ما لاحظت أنه وثيقة سرية، حين انفتح الباب الذي ولج منه هيوغو مارتن وهو يقول:

ـ وقت الغداء!

صاحت مستغربة:

ـ حقاً! يا الله! كيف مر الصباح بسرعة!

قال هيوغو مبتسماً: «أفترض من قولك هذا أنك مستمتعة بعملك».

أدركت سيل مصدومة أنها استمتعت فعلاً بالعمل الذي قامت به هذا الصباح، ووجدته أكثر إثارة وحماسة من العمل الذي كانت تقوم به للسيد روبرتس في لندن.

أردف هيوغو: جئت أصحبك إلى الغداء.

ردت عن غير وعي، وعقلها ما زال غارقاً في الوثيقة التي كانت تطبعها:

ـ غداء؟

ابتسم: «ألن تتناولي الغداء معي، سيل؟»

فكرت سيل في القبول.. ولكنها لم تتمكن من قول شيء له، لأن الرجل المرهف السمع، وقف في الباب فجأة، وأجاب هو نيابة عنها:

ـ لدى الآنسة سوفتنغ موعد غداء مارتن.

ـ أوه!

ارتدّ هيوغو بحدة، ثم التفت إلى سيل مبتسماً:

ـ أراك فيما بعد إذن.

ما إن دخل موري بروكس الغرفة حتى غادرها هيوغو بسرعة.

لم تجادل سيل.. فالسكرتيرة الماهرة أحكم من أن تجادل، ولم تنس أنها قالت له إن هذه الوظيفة عهدت إليها بسبب كفاءتها، ولم تنسَ أنه سألها ساخراً: هل أنت واثقة من هذا؟

هكذا سألت: «ألدي وقت كاف لإنهاء هذه الصفحة؟»

أجاب باختصار:

ـ هذا وقف على سرعتك في الطباعة.

عادت إلى عملها بسرعة، فتقدم ليتناول ما طبعته في الصباح. وجدت وجوده مثيراً للاضطراب، لكنها تابعت طباعة الصفحة حتى آخرها، ولأنها حافظت على أعصابها استطاعت أن تتم الطباعة بدون أخطاء. وضعت الصفحة على المكتب، ثم رتبته.

علمت أنه سيعلق على شيء ما عندما أعاد الصفحات المطبوعة إليها مع أنها تشك في تلقي المديح منه. ولم تتلق شيئاً، لكنها وجدت في نبرته دهشة ما.

ـ حسناً.. سكرتيرة تعرف أن تهجيء أطول الكلمات التقنية: للزوجة المتحركة!

تمتمت ببرود: «يجب أن ترى كيف تعاملت مع ما هو أصعب منها!»

كادت تتغلب عليها رغبة في الضحك، فأحنت رأسها لتأخذ الشرائط المسجلة وسألت:

ـ ألدينا خزانة حديدية؟

ـ ثمة واحدة في مكتبي.. ولدى دايفد أوريوري واحدة.

أشار إليها لتلحق به.

رأت مكتبه كبيراً كطاولته ولكنها دهشت حين رأت طاولته نظيفة. لأنها في الصباح رأت الأوراق مكدسة معه. وضع الحقيبة في الخزانة الحديدية وارتدّ ليأخذ الأشرطة والنسخ المطبوعة التي أنجزتها.. أدركت فجأة أنه كذلك يحمل الكثير من هذا العمل في رأسه.

أقفل الخزانة، ثم التفت لينظر إليها في تلك اللحظة تغلب عليها فضولها.. فرغم عزمها على عدم السؤال عما هو موعد الغداء الذي يمنعها من قبول دعوة هيوغو مارتن، لم تستطع منع نفسها من السؤال:

ـ هل أنا بحاجة إلى جلب شيء؟

وجدت أنه لم يجد صعوبة في اللحاق بقطار أفكارها:

ـ لدينا غداء عمل.. ولكن بإمكانك ترك دفتر ملاحظاتك.

كانا في السيارة حين سألته:

ـ هل لك أن تقول لي ما هو دوري في غداء العمل هذا؟

رد بتحفظ: «دورك يا آنسة سوفتنغ أنك سكرتيرتي».

ردت ببرود قدر المستطاع: «فهمت».

ولكنها رغبت في صفعه. كيف لهذا الرجل القدرة على أن يسلبها رباطة جأشها؟ تعتقد أنه يفعل هذا عامداً متعمداً. تعرف أنها سكرتيرته، وتراجعت عن حمد الله لأن هذه المهمة مؤقتة.

أردفت: «سيد بروكس.. ربما لديك ملاحظات تبديها بشأن...»

قاطعها: «باختصار عليك إبقاء عينيك وأذنيك مفتوحة».

سألت: «وهل ستقابل شخصاً من مؤسسة بريطانية؟»

www.liilas.com

توقعت أن يكون الضيف انكليزياً لأنه يعرف أنها لا تتكلم العربية، ولكنه سرعان ما بدد أفكارها:

- ضيفي على الغداء هو السيد بديع حسني.

- آه!

ولأنها سمعت اسم السيد بديع حسني من قبل، ولأنها سمعته أكثر من مرة في عملها هذا الصباح، سرّت لأنها ستتعرف إليه.

سألت: «يعمل السيد حسني في مؤسسة «أوزوريس» أليس كذلك؟»

- بل هو المؤسسة نفسها.

فتحت سيل فمها، ثم أطبقته.. مؤسسة موزوريس هي الشركة التي تتفاوض معها مؤسسة بيكون لتوقع عقد التكرير.. وهي ستتناول الغداء مع الرجل الذي هو «مؤسسة أوزوريس».. واو...!

لم تطل الرحلة إذ سرعان ما أوقف رئيسها السيارة أمام فندق ضخم يطل على مياه المتوسط.

فيما كان موري يرافقها إلى الفندق بدأت سيل تشعر بالفخر لأنها تسير جنباً إلى جنب مع رئيس المفاوضين في شركة «بيكون للنفط».. ولأن رئيسها كان المضيف وصلا قبله.. وفيما كانا ينتظران وصوله بدأت سيل تحس بالإثارة لأنها ضمن هذا اللقاء.

ما طبيعة العمل الذي سيدور حوله النقاش.. إنها تتوق إلى معرفته فبعدما شاهدت بنفسها أن رئيسها تعمد ترك حقيبة أوراقه في المكتب، استنتجت أن ما سيناقشانه الآن لن يكون رسمياً.

وصل بديع حسني الذي وجدته رجلاً مكتنز الجسم في الخمسين من عمره. كانت ملابسه أنيقة فخمة.. وهكذا كان الرجل الذي يرافقه والذي هو في الخامسة والعشرين من عمره.

حيا بديع حسني موري بروكس بانكليزية تامة:

- صديقي! لقد أبقيناك منتظراً!

رد موري وهو يصافحه:

- أبداً بديع.

أشار بديع إلى الشاب الذي معه:

- تعرف ابني حسين.. لن تمانع إن انضم إلينا؟

- بالتأكيد لن أمانع.

وصافح حسين حسني، ثم التفت ليقدم المرأة النحيلة إلى جانبه.

- وصلت سيليا من لندن بالأمس لتساعدني في أعمالي المكتبية.

أحست سيل أن قلبها يتخلى عن خفقة غريبة سخيفة لأنه ينوي استخدام اسمها الأول.

سأل بديع: «أرحلت الآنسة ماكفرسون؟»

- اضطرت للعودة إلى انكلترا بشكل طارىء بسبب مسألة لا علاقة لها بالعمل.

فجأة تدخل حسين حسني:

- ألن تقدماني إلى سيليا؟

كادت عيناه تأكلان وجهها وشعرها الأشقر.

ابتسم والده:

- لا تكن لجوجاً يا بني.

ولكن الشاب كان نافد الصبر لأنه لم ينتظر أن يقوم أحد بالتعارف إذ أمسك يدها اليمنى يصافحها:

- أنا حسين حسني. يرسلني والدي إلى بلدان مختلفة دائماً لأوسع معرفتي بصناعة النفط.. لكني سعيد بوجودي الآن في

مصر..

أحست سيل بشيء من الارتباك بسبب طريقة هذا الرجل في مصافحتها.. لكن طبيعتها الباردة التي لا تتأثر دعمتها فاستردت يدها منه وردت ببرود:

ـ لا شك أن عملك مثير للاهتمام.

قال موري: «هل لنا أن نذهب إلى غرفة الطعام؟»

نظر إليها بسرعة وعرفت أنها سجلت علامة سوداء أخرى في سجلها عنده.

لأنه كان مضيفاً جديراً بالإعجاب، مرت الوجبة بدون أن يحس أحد سواها بأنها ارتكبت هفوة. قررت أن تضع المسألة جانباً لتركز على العمل الذي أمامها.. ولكن ما استغربته أنهما رغم ذكر شركتي أوزوريس وبيكون لم يتطرقا إلى العقد الذي هو السبب الرئيسي لهذا الغداء.

لكن كان عليها الاعتراف بأنها لم تستطع التقاط كل شيء يقال، فحسين حسني الجالس قربها، بدا غير مهتم بالعمل وكان دائم التعليق على أمور خارجة عن الموضوع.

سألها، وهم يشربون القهوة، بعد الغداء:

ـ هل سمعت أنك وصلت بالأمس فقط؟

ـ أجل.. أنا..

قاطعها: «هذا يعني أنك لم تشاهدي شيئاً من الاسكندرية؟ وسأهتم بهذا فوراً!»

لم تفارق عيناه بشرتها العاجية اللون أو عينيها البنيتين.

بذلت سيل جهدها لئلا تبدي امتعاضها من حماس الشاب المفتوح. هو أكبر منها بسنتين تقريباً، ولكنه يبدو أصغر منها.. كانت مدركة بأن عليها ألا تفعل ما يغضبه، مع أنها لا تعرف ما إذا

كان موري بروكس من وجهة نظر عملية بحتة سيوافق على قبولها ما تظنه دعوة من حسين والذي طلب منها أن تستخدم اسمه الأول.

قالت بخفة بعد لحظات:

ـ في الواقع يا حسين.. أنا هنا للعمل.

ـ لكن لا يمكنك العمل طوال الوقت! سأريك شيئاً من الاسكندرية بعد ظهر اليوم.. سأصحبك إلى المتحف الإغريقي الروماني.

بدأت تحس بأنها واقفة على شفير الهاوية.. فنظرت إلى موري.. وكلها أمل أن يتدخل ليساعدها. ولكن أملها خاب لأنه قال لها ساخراً:

ـ يجب ألا تهملي ثقافتك سيليا.

تمسّك حسين بما اعتبره إذناً من رئيسها:

ـ هاك! لقد أنهينا الغداء.. وسنذهب الآن و..

قاطعته سيل بسرعة، وتكلمت بالدفاع دون أن تمهل نفسها فرصة للتفكير.

ـ آسفة حسين.. لدي عمل كثير ينتظرني في مكتبي. ومن المستحيل أن أخرج معك اليوم.. شكراً..

قاطعها: «غداً إذن».

هبَّ واقفاً:

ـ أظن أن لدى والدي وموري أموراً يناقشانها ولا تهمنا.. فهل نتمشى في الخارج؟

لم يكن أمامها سوى الموافقة.. فلربما رافق حسين أباه لهذا السبب بالذات، لإبعاد سكرتيرة موري عن الطريق ليتمكن الرجال من المناقشة بعيداً عن أسماع أحد. على أي حال كان بديع حسني يبتسم موافقاً، ولكنها وجدت رئيسها لا يبتسم، ولا يأمرها بالبقاء.

قالت لحسني بخفة: «إنه لطف منك».

اعتذرت من الرجلين، وتركت المائدة، لتخرج مع حسين من الفندق القابع في مكان معزول.

تساءلت سيل عما تتكلم مع حسين.. لكن ما كان عليها أن تقلق، فقد قام هو بكل الكلام الضروري.. مع أن معظم كلامه كان على شكل أسئلة تتعلق بحياتها في انكلترا.

قال وهما يسيران في حدائق الفندق:

ـ إذن لا رجل محدد في حياتك في انكلترا؟

ـ أخرج مع مجموعة أصدقاء.

وأبعدته عن الموضوع حين لاحظت سيارة متوقفة في أرض الفندق مزينة بالشرائط الملونة وباقات الزهور:

ـ هل هذه سيارة زفاف؟

ـ أجل.

لكنه لم يبد اهتماماً بما كانت مهتمة به.

كانا راجعين إلى الفندق حين ظهر لهما في البهو فجأة موري بروكس وبديع حسني. فدنت سيل من موري الذي كان يصافح بديع.. وودعتهما هي أيضاً وهي تشعر بالراحة لأنها خرجت من غداء العمل هذا بدون أن تلزم نفسها بشيء مع حسين حسني.. سارت بسرعة تتبع خطوات موري إلى السيارة.

كانت جالسة في مقعدها، وموري يقود السيارة مبتعداً عن الفندق حين تساءلت عما إذا كان اتفق على أي شيء مع بديع حسني.. فكرت في الأمر قليلاً ثم قررت أن عليها كونها سكرتيرته حالياً أن تبدي اهتمامها.

ـ هل تمكنتما من تقريب وجهات النظر في المفاوضات؟

سرعان ما تمنت لو لزمت الصمت لأنه ردّ عليها بعنف ساخر:

ـ وهل أنت مهتمة إلى هذه الدرجة؟

ـ وماذا تقصد بكلامك هذا؟

ـ لاحظت أنك كنت أكثر اهتماماً بتشجيع تحرشات ابن بديع حسني!

احتجت بشدة: «لم أكن أشجعه! إذا كان كل ما فعلته أنني حاولت أن أكون مؤدبة.. أن..»

ـ لم تستطع عيناه مفارقة وجهك؟

ـ أنا لم أفعل شيئاً كي...

قاطعها مرة أخرى: «لم تكوني مضطرة لفعل شيء.. إنه مظهرك!»

ـ ليس لي يد في مظهري!

ونمتمت في نفسها غاضبة.. يا للوقح! وأشاحت بوجهها عنه فيما كان فكه يشتد بعدوانية ويظهر عدم تأثره بغضبها. كانا على وشك الوصول إلى المكتب حين خطر لها أن تتساءل عما إذا كان هناك إطراء، ولو خفي، في كلامه حين قال: «إنه مظهرك!».. ولكنها أبعدت الفكرة.. وكأنما هذا يهمها! فالرجل متوحش.

حيث موظفة الاستقبال بمرح: «مرحباً جميلة!»

ابتسمت الفتاة الأخرى: «مرحباً سيل».

صعدت سيل إلى مكتبها غير عابئة برئيسها الذي اتجه إلى مكتب دايفد أوربوري.. وكانت بتصرفها هذا تقول لنفسها: فليذهب إلى الجحيم. إنما ليس قبل أن يفتح خزانته ويعيد إليها العمل الذي تقوم على إنهائه.

توقعت أن يصعد إلى مكتبه في أية لحظة فجلست ترغي وتزبد فترة.. فكرت: يا له من رجل قذر رهيب! ثم تذكرت أن حقيبتها ما تزال في صندوق سيارته، وأن لا فكرة عندها عن المكان الذي

«ستنصب خيمتها» فيه تلك الليلة.. ولكنها لن تسأله، سيكون ملعونة إن سألت!

مرت ربع ساعة.. أدركت أنها طوال هذا الوقت لم تفعل شيئاً رغم كثرة العمل الذي ينتظرها.. وتوصلت إلى قرار أن هذا كله مناف للعقل.. التقطت السماعة بيدها وسألت جميلة عما إذا خرج السيد بروكس.. فردت جميلة:

ـ إنه في اجتماع مع السيد اوربوري، سأصلك به.

قالت سيل عندما رد السيد أوربوري:

ـ معك سيل سوفتنغ.. هل السيد بروكس معك؟

ـ لحظة من فضلك.

وفي أقل من لحظة كان رئيسها معها:

ـ بروكس.

ـ سيليا سوفتنغ.. هل لي أن أحصل على الأوراق الموضوعة في خزانتك أرجوك؟

كرهته أكثر حين أعاد السماعة إلى مكانها بدون أن يرد. يا للخنزير المتعجرف! ونهضت لتقف أمام النافذة المشرفة على الخارج واقفة في المكان ذاته عندما سمعت وقع قدميه. سمعته يدخل إلى مكتبه عبر باب آخر.. ولم تجد ما يدعوها إلى التحرك حتى انفتح الباب الموصل بين المكتبين، ودخل حاملاً أوراقها.

قالت بأدب: «شكراً لك».

ووجدت أن أدبها يضيع على شخص مثله، فقد خرج بدون أن يرد.

جلست تصب جام غضبها على الآلة ولكنها حمدت الله لأن طابعة ماهرة، لأنها حتى في غضبها حققت عملاً كثيراً خالياً من الأخطاء.

توقفت لتتناول فنجان شاي في الساعة الرابعة، ولكن بسبب علمها أن أمامها عمل مكدس سرعان ما عادت إلى آلتها.. وفكرت أن موري بروكس لم يعطها أي تسجيل اليوم نظراً لكثرة العمل أمامها. وسوف يضاعف لها العمل غداً، هذا إن لم يكن في هذه اللحظات بالذات يملي حملاً آخر على المسجلة.

أصابتها لحظة إرهاق.. فتوقفت لتمدد ظهرها، وبرزت لها الفكرة مجدداً.. أين ستنام الليلة؟ وعادت إلى الآلة وهي على رأيها بعدم طرح أي سؤال. ولكن فجأة صدمتها فكرة أخرى.. إنها موظفة جديدة، لا يعرفها أحد، إذن ما أسهل أن ينسوها! فكل ما تعلمه أن موري بروكس ربما أنهى نقاشه القانوني مع دايفد اوربوري وغادر المبنى منذ ساعات.

كانت على وشك أن تكون متأكدة من أن الجميع رحلوا عن المكتب ذلك المساء وأنها ستمضي الليل في مكانها.. ولكن فجأة.. انفتح الباب.

تقدم موري لينظر إلى كمية العمل المنجز.. ثم قال:

ـ كفاك عملاً اليوم. نظفي طاولتك.

بذلت جهداً لتمنع تعليقاً ساخراً، بدأت ترتب طاولتها. وبما أن هناك سبع دقائق حتى الخامسة، لم تجد ما يدعو إلى شكره لأنه أنهى عملها اليوم ولكنها تظنه سيعمل حتى المساء، إما هنا وإما في منزله.

أعطته كل ما يجب أن يوضع في الخزنة تلك الليلة، وكانت مشغولة في وضع غطاء الآلة الكاتبة حين عاد إلى مكتبها:

ـ جاهزة؟

رداً عليه التقطت حقيبة كتفها.. ولم يكن لديها فكرة عن المكان الذي سيتوجهان إليه ولكنها تعرف أنه المكان الذي ستبيت

فيه ليلتها.

ما زالت مصممة على عدم طرح أي سؤال، فهي لن تتفوه إلا بما هو ضروري. كانت تتوقع أن تقيم في مكان سكن هادىء محترم سعره مقبول لذا ذهلت عظيم الذهول عندما أوقف سيارته أمام فندق فخم. حين خرج من السيارة واتجه إلى الصندوق، لحقت به وسألت بذهول:

ـ هل سأقيم هنا؟

ـ لن تجعل حسين حسني يظن أننا فقراء حين يأتي لزيارتك.

رفعت ذقنها بغضب، وأطبقت شفتيها بشدة، ثم دخلت معه إلى الفندق. لو فكرت أن تسأل جميلة عن مكان إقامتها لأخبرتها أن موري بروكس اتصل بهذا الفندق في وقت ما في النهار.

انتظر موري بروكس الوقت الكافي ليتأكد من حجزها، ولكنها رفضت أن تكون شاكرة صنيعه هذا، ثم قال لها:

ـ سيأتي سمير ليصطحبك في الصباح ويعيدك في المساء.

وخرج.

كانت غرفتها ممتازة، لكن السعادة التي كانت لتشعر بها في ظل هذا المسكن الرائع تلاشت في اللحظة التي تذكرت فيها ملاحظة موري الساخرة عن عدم السماح لحسين حسني «بأن يظننا فقراء».

قررت أن تبعد المسألة السخيفة عن ذهنها، وأخذت تفرغ حقيبتها. وبما أن مؤسسة «يكون للنفط» قطعاً غير فقيرة، قررت أن القليل من الخدمة إلى الغرفة لن يفلسها، فاتصلت تطلب إبريق شاي.

وصل الشاي، وكانت تكتب رسالة لوالديها اللذين سيقلقان إن شكا في أنها لا تعيش في نعيم حين رن الهاتف فجأة.

توقعت أن يكون رقماً مخطئاً، فتقدمت ترد، وتلقت صدمة

حياتها لأنها سمعت صوت حسين حسني. كانت تفكر كيف تمكن بحق الله من معرفة مكان إقامتها عندما أدركت أنه يطلب منها الخروج معه إلى العشاء.. فردت بلطف:

ـ أوه.. أنا آسفة حسين.. لكن لم يمض وقت طويل على وجودي هنا وهذا يعني أن أمامي عمل أتمه كتوضيب الثياب وما شابه.

ـ يمكننا أن نتعشى في الفندق، إن كنت متعبة.

ـ في الواقع، لست جائعة.

لقد أعجبها الرجل، لكنها لا تريد أن تذعن لإلحاحه.

ـ لقد تناولت وجبة كبيرة وقت الغداء.

أخيراً وافق:

ـ حسناً. سأنتظر بفارغ الصبر يوم غد لأريك المتحف كما اتفقنا.. فهل أزورك في المكتب؟

في تلك اللحظات لم تعد تذكر حقاً ما إذا كانت وافقت على الذهاب معه إلى المتحف.. لكن، بما أن والده هو مؤسسة أوزوريس، وبما أنها لا تعرف ما إذا كان حسين سيبلغ أباه أن موظفاً من موظفي «يكون للنفط» قد أخلف في وعده له، لم تر شيئاً آخر تفعله.

ـ سيكون هذا لطفاً كبيراً منك.

في الواقع لم تكن تفهم كيف لسكرتيرة أن تخلف باتفاق قد يؤثر في العقد الذي يحاول موري الوصول إليه.. لكنها لم تشأ أن تكون هي الشخص الذي يضع ولو أصغر العراقيل في وجه العمل.

سألها حسين:

ـ هل الساعة الواحدة مناسبة؟

أقفلت السماعة بعد دقائق، وهي تعرف أنها ألزمت نفسها،

ولكنها أملت أن تنتهي من زيارة المتحف في فرصة الغداء.

أمسكت قلمها الذي تركته وما إن كتبت نصف سطر تقريباً حتى رن جرس الهاتف مجدداً. رفعت السماعة وكلها أمل بألا يكون حسيناً، وكان أن تلقت صدمة أخرى.

سألها موري بروكس: «مع من كنت تتكلمين قبل قليل؟».

تساءلت مذهولة كيف عرف بأنها كانت تتكلم مع أحد.

أردف: «اتصل حسين حسني يريد عنوانك.. فهل ستتعشين معه؟»

أرادت سيل أن تترك موري بروكس يلهث وراء الرد.. لكن هذا كان قبل أن تدرك أن من حقه بسبب المفاوضات حول العقد أن يحيط بكل ما له علاقة به.

هكذا ظنت أنه سيسر إن علم بموعدها مع حسين على الغداء.

ـ لا.. لقد رفضت.

قاطعها بحدة، وبدا غير مسرور أبداً:

ـ هل أغضبته؟

ـ بالتأكيد لم أغضبه.. سأراه غداً.

أرادت أن تكمل لتشرح له بأن حسيناً لم يغضب، ولكن الخط انقطع بعدما ضرب موري سماعته بقسوة بقفلها.

تمتمت سيل وهي تضرب سماعتها أيضاً.. يا للخنزير!

إنه شخص كريه يرى كل تصرفاتها خاطئة.

* * *

٤ ـ مشاعر خاطئة

في الصباح التالي تناولت سيل الفطور المؤلف من كرواسان ومربى مع القهوة، ثم عادت إلى غرفتها لتتأكد من مظهرها.. تساءلت بسرعة عما إذا كان عليها أن تحمل معها محفظة الوثائق التي تقفل بواسطة سحاب ووجدت أن لا ضير في أخذها إلى المكتب علماً بأنها قد لا تحتاج إليها، ولكنها لن تأخذ حيزاً كبيراً إن تركتها في المكتب، وبهذا تكون مستعدة لأي طارىء.

في الثامنة والنصف غادرت غرفتها، واستقلت المصعد نزولاً إلى الطابق الأرضي.. لقد قال لها موري بروكس إن سمير آتٍ لاصطحابها ولكنه لم يحدد الوقت الذي سيجيء فيه.

كان أول من وقعت عيناها عليه بعد خروجها من الباب الزجاجي المتحرك آلياً، وردت على تحيته مبتسمة.

سألها: «هل أحمل حقيبة أوراقك؟»

ابتسمت مجدداً: «أستطيع حملها».

عندما رافقها إلى سيارة أنيقة وفتح لها الباب اتسعت ابتسامتها.. إنها في الاسكندرية. يا للروعة!

ولكن هذا الإحساس لم يقدر له الدوام فسمير هذا ليس ذلك السائق الهادىء البارد كرئيسها.. وفكرت سيل أن تجارة صانعي أبواق السيارات في المدينة رائجة جداً. لقد سمعت أن بعض الناس

يقودون سياراتهم بالمكابح.. ولكن في مصر يبدو أن الجميع يقودون السيارات بالأبواق.

بفضل قيادة سمير، وصلت إلى المكتب قبل التاسعة بوقت يسير.

قالت له: «شكراً سمير».

فأجاب مبتسماً ابتسامة عريضة: «سأنتظرك هنا في الخامسة».

وماذا يمكنها أن تفعل أمام مثل هذه المعاملة؟ تمتمت مرة أخرى:

ـ شكراً لك.

وخرجت من السيارة إلى مبنى الشركة.

حيتها جميلة صاحبة البسمة الدائمة: «صباح الخير سيل».

عندما تقدمت لتتبادل معها بعض كلمات، انفتح الباب الخارجي ودخل هيوغو مارتن الذي وجه إليها الكلام بلا مقدمات:

ـ قولي إنك ستتناولين الغداء معي اليوم.

فضحكت: «لقد تناولت الفطور منذ قليل».

ـ أعرف ولكنني أشعر بأن عليّ دعوتك باكراً إن كنت أريد الحصول على امتياز رفقتك.

أبهجها تصرف هيوغو المرح. لقد قابلت أمثاله من قبل ونعرف أنه مسالم.

ـ لم تبكر بما فيه الكفاية. سبق أن دُعيت إلى الغداء.

كانت في طريقها إلى الطابق الأول، حين استعاد وعيه فناداها:

ـ وماذا عن العشاء الليلة؟

ردت عليه: «ماذا عن الغداء غداً؟».

ابتسم: «اتفقنا!».

عرفت أنها سارت طوعاً إلى هذا الفخ.

كان على وجهها طيف ابتسامة حين دخلت إلى مكتبها، لكنها عقدت حاجبيها ما إن أصبحت في الداخل، ورأت أن الباب الداخلي مفتوح، وعرفت أن موري بروكس وصل قبلها.

تذكرت الطريقة الغاضبة التي صفق بها الهاتف في وجهها ليلة أمس، وكانت مشتتة الفكر أتلقي عليه التحية أم تحجم.. ثم رفع رأسه فوجدت نفسها فجأة تحدق إلى عينيه الشرستين، وقالت ببرود: «صباح الخير».

ثم ارتدت إلى طاولتها.

كانت قد أخفت محفظة الوثائق ومحفظتها في الأدراج حين لاحظت أن العمل الذي أودعته في الخزانة بالأمس، على طاولتها الآن.. من الواضح أن هذا يعني أن تبدأ به حالاً.. وهذا ما فعلت.. ظلّ الباب المشترك مفتوحاً.. وعندما جاءت جميلة في الحادية عشرة تحمل صينية عليها فنجانان من القهوة توقفت عن العمل. حملت جميلة أحد الفنجانين إلى موري بروكس ثم عادت إلى مكتب سيل، ولكنها لم تبق كما بالأمس لتبادل الأحاديث.

ارتشفت سيل قهوتها.. ثم بسبب حاجتها إلى الاستفسار عن عدة أمور دخلت إلى المكتب المجاور.. وسألت:

ـ هل من المناسب أن أراك لأستفسر عن بعض الأمور؟

وجدت مكاناً فارغاً على طاولته ووضعت عليها أوراقاً مطبوعة لا خطأ فيها.. فسألها سؤالاً لا يضم تشجيعاً ولكنه يحمل بين جنباته أدب: «ما مشكلتك؟»

أجاب عن أسئلتها العملية في وقت لا يذكر. وحينما لم تتحرك فوراً نظر إليها ببرود، فأدركت أنه يريد العودة إلى العمل.

ـ هل هناك من شيء آخر يقلقك؟

ـ لا يقلقني بالضبط.. المسألة أن حسين حسني آت في الساعة

الواحدة ليصحبني إلى المتحف.. ولست متأكدة من قدرتي على العودة إلى المكتب في تمام الساعة الثانية.

رأت وجهه يظلم فعلمت أنها توشك أن تتلقى انتقاداً لاذعاً من لسانه السليط، ولكنه ابتلع ملاحظته اللاسعة بشكل مدهش.

- وماذا تريدين مني أن أفعل بهذا الخصوص؟

ردت بغضب: «لا شيء».

ثم استعادت سيطرتها على أعصابها وأضافت:

- كنت أتساءل عما إذا كان بالإمكان أن أحصل على ساعة غداء إضافية.. ومن الطبيعي أن أعوضها في المساء.

مال في كرسيه إلى الخلف وحدق إليها بعينيه الشرستين الرماديتين اللتين أسرتا عينيها البنيتين.. ثم قال: «يمكنك ذلك بالتأكيد».

فهمت من هذا أنه وافق على تمديد ساعة الغداء. مد يده ليأخذ العمل المنجز الذي أعطته إياه.

- تعملين بسرعة.. آنسة سوفتنغ.

عادت سيل إلى مكتبها وهي تعرف أن الرجل الذي قادها سوء طالعها إلى العمل عنده، لم يكن يطربها على سرعتها في العمل، بل على سرعتها في الحصول على موعد للخروج مع ابن الرجل الذي يعتبر بحد ذاته شركة أوزوريس.

انكبت ثانية على الآلة الكاتبة، ولأن العمل الذي بين يديها أسهل من ذاك الذي أنجزته وجدت أفكارها تدور. افترضت أن «حسين حسني» يعتبر صيداً ثميناً ولكن هذا لا يعني أبداً أنها مهتمة به.. كان في غاية اللطف ولكنه غير ناضج بالنسبة لها.

إنما لماذا قفزت أفكارها على حين غرة إلى موري بروكس؟ اكتشفت فجأة أن موري أيضاً صيد ثمين! يا إلهي! وكأنني مهتمة به!

في الثانية عشرة والنصف أدخلت المزيد من العمل له. وكانت واثقة بالرغم من جدارته بأنها تشفق على أية امرأة مسكينة ضعيفة الدماغ قد تهتم به..

سألها بوقاحة وهي على وشك العودة إلى مكتبها:

- ألديك عمل كثير تنجزينه بعد عودتك؟

ابتلعت رداً لاذعاً، وتمكنت من القول بهدوء:

- سأنهي كل شيء.. وأظنني في منتصف الطريق لإنهاء كل ما هو متراكم.

قال وهو يقف:

- لا أريد منك أن تضجري.. أنا ذاهب الآن للغداء.. وقد لا أعود قبلك.

فيما كان يرتب مكتبه، عادت إلى مكتبها غاضبة. ولم ترفع نظرها حين سمعت باب مكتبه ينفتح نحو الممر الخارجي ثم يقفل.. ليته لا يعود! تغضن جبينها وهي تفكر.. ألديه هو أيضاً ساعة غداء مطولة للعمل أم للمتعة؟ وهل ستراه مجدداً بعد الظهر؟

عندما غادرت مكتبها في الواحدة كانت مذهولة لأنها أمضت وقتاً طويلاً تفكر في موري بروكس خارج عمله.

وكأنما تهتم..! حتى ولو صاحت بهذا عالياً! نزلت الدرج فوجدت حسين حسني بانتظارها في باحة الاستقبال.

قال مبتسماً وهو يدنو منها: «سيليا».

- مرحباً حسين.

ومدت له يدها بطريقة ودود.

وكانت غلطة لأنه أبقى يدها مرة أخرى في يده أطول من اللازم.. وما إن استردتها وخرجا من المبنى حتى أدخلها إلى مقعدها في سيارته الفخمة، وكان يتحدث عن اصطحابها للغداء.

قالت بحزم إنما بعيداً عن إغضابه:

ـ أخشى أن وقتي لا يسمح لي بالغداء وبزيارة المتحف.

احتج: «إنما يجب أن تأكلي.. ثم لقد حجزت مائدة».

قبلت سيل أن تكون الوجبة سريعة.. فوافق حسين.. ولكن المشكلة المعقدة أن لا أحد كان على عجلة من أمره. فلدى حسين، بكل تأكيد، كل الوقت اللازم في العالم. والمطعم الأنيق الذي صحبها إليه بدا أنه مؤمن بأن زبائنه يفضلون إطالة الوقت على وجبة سريعة.. لذا كانت الساعة تقارب الثانية حين تركا المطعم.

أحست بالراحة لوجودها في السيارة والانطلاق نحو المتحف. لكنها اكتشفت أن ارتياحها سابق لأوانه فقد أوقف حسين السيارة في موقف خاص صغير، وسألته:

ـ أين..؟

ابتسم: «فكرت أنك قد ترغبين في رؤية نصب القائد الروماني «بومباي» التذكاري».

ورافقها نحو نصب مرتفع بدا أن ارتفاعه يبلغ تسعين قدماً.

قالت له: «شكراً لك».

ولأنها أحست أنه فعلاً مهتم بها، فتشت في عقلها محاولة أن تتذكر ما إذا كانت قد سمعت ببومباي أو بنصبه.

سألت: «بومباي.. منافس يوليوس قيصر؟»

لكن حسين، المبتسم دائماً، هز رأسه:

ـ لا..

وراح يوسع من معرفتها، قائلاً إن النصب الغرانيتي المرتفع أقيم بعد زمن طويل من بومباي وذلك على شرف الأمبراطور دبوكليتان. أمضيا عشرة دقائق يتجولان في الحديقة الصغيرة، حيث بساط من الزهور الصفراء.

حين أعلن حسين أنهما ذاهبان إلى المتحف نظرت سيل إلى ساعتها وأحست بالراحة مجدداً.

لكنها نسيت الوقت بعد دخولهما إلى المتحف، فقد وجدت أن الآثار العائدة إلى العهد اليوناني والروماني مثيرة للاهتمام. تجوّلا ببطء من قسم إلى قسم، يتأملان التماثيل والمدافن الحجرية والنقوش الناقرة، واللوحات القديمة.

كانا في القسم الذي يضم عملات معدنية قديمة، حين نظرت سيل إلى ساعتها فعرفت بذهول وذعر أنها مددت فرصة الغداء فوق الساعة، ساعة ونصف.. وصاحت:

ـ إنها الثالثة والنصف!

سألها حسين: «وهل يقلقك الوقت؟»

نظرت حولها بحثاً عن المخرج:

ـ لدي عمل.

سألها: «وهل موري بروكس.. آه.. مستبد؟»

ـ لا. ليس مستبداً.

أدركت أنها تمثل بيكون للنفط، وأن قولها هذا إشارة إلى ولائها.

عادا إلى سيارة حسين في طريق العودة إلى مكاتب الشركة.. وتمنت لو أحجم عن ذكر اسم موري بروكس.. فالرجل المتوحش يرفض الآن أن يخرج من عقلها.

إنه مستبد ولكن عليها أن تعترف أنه لا يرحم نفسه كذلك.. مع أن من الإنصاف القول إنها هي التي تدفع نفسها إلى العمل بقسوة ونستمتع به. في الواقع تركها موري بمفردها تكمل عملها، وهذا لا يعتبر استعباداً لأي كان.

كان حسين يوقف السيارة قرب مكاتب الشركة حين فكرت سيل

في أنها قد لا ترى موري اليوم، فهذا يتوقف على موعد غدائه.. فجأة اكتشفت أنها لا تعرف ما هي حقيقة إحساسها تجاه هذا.

فكرت بعد لحظات كم أن تفكيرها هذا غريب، فكيف تشعر بأي شعور تجاه ذلك الرجل؟

سألها حسين وهي تشكره على الغداء وعلى الجولة:

ـ أتتعشين معي الليلة؟

فكرت سيل أن يبكون للفظ تطلب ولاءها.. لكنها قارنت هذا بالمشاكل التي قد تثيرها لنفسها فيما بعد.. إنها هنا مدة شهر واحد!

ـ أنا آسفة حسين.. لدي ما أقوم به الليلة.

أحست براحة شديدة حين قبل حسين رفضها بدون غضب.. وتمتم بحزن:

ـ أعتقد أن الأمور دائماً هكذا بالنسبة لك.. سأتصل بك.

قالت سيل مرحباً لجميلة وهي تدخل. كانت ملهوفة لتسأل عما إذا كان السيد بروكس قد عاد من الغداء. لكنها أبعدت السؤال وقررت أن تتمنى فقط عدم عودته، بل ليته لا يعود هذا اليوم.

ثار توترها وخفق قلبها بشدة بعد دخولها إلى المكتب، ورؤيته من الباب المشترك قاعداً وراء مكتبه. واجهت نظرته العبوس ولكنها دخلت إلى مكتبه لتعتذر:

ـ لم أتوقع أن أتأخر هكذا.. أنا آسفة.

رد ساخراً: «هذا ما يجعلنا اثنين. اجلبي دفتر الاختزال وعودي».

يا لحسن حظي!

فكرت سيل في هذا وهي تخرج بعد ساعة من مكتبه.. كيف أنكرت أنه مستبد! تعدت وراء مكتبها وهي تأمل أن تعيد قراءة ما أملاه عليها بسرعة فائقة في الستين دقيقة الماضية.

لو بدأت عملها في الوقت المحدد لما أنهت هذا العمل المتراكم حتى السابعة.. في السابعة والنصف كانت أصابعها ما تزال تتحرك بسرعة على مفاتيح الآلة الكاتبة، وكان موري بروكس يعمل أيضاً. استحوذ العمل الذي تقوم به على انتباهها فلم تع الوقت، وكانت تهم بإخراج صفحة من الآلة حين شعرت به يترك مكتبه ويقف بالباب.

بدا أنه يتأملها بإمعان فحافظت على هدوئها. نظرت إليه، فلاحظت أنه يسد الباب بجسده الذي لا وجود لأونصة من اللحم الزائد فيه.. أذهلها المسار الذي انجرفت إليه أفكارها، فهي لا تذكر أنها لاحظت مثل هذه التفاصيل في رجل من قبل.. أشاحت بعينيها بسرعة، وفي اللحظة ذاتها تحرك إلى الأمام، يقول لها:

ـ بإمكانك ترك هذا حتى الصباح.

نظرت إلى ساعتها، ثم إليه، وقالت شاهقة: «أهذا هو الوقت فعلاً؟»

قال بتحد وبنهجة عدوانية:

ـ لماذا.. ؟ أذاهبة إلى مكان ما؟

ردت بحرارة: «ليس الليلة!»

أحست بانزعاج جعلها لا تأبه به وإن كان رئيسها، فأضافت:

ـ منذ مجيئي إلى القاهرة وأنا أفضل أن أكون وحدي على صحبة أحد.

لا تعتقد أنها أغضبته، «فجلده» أسمك من أن يؤثر فيه شيء. نظرت إليه بعداء، أما هو فنظر إليها بمجرفة.. ثم رأت طيف ابتسامة، أم تراها تتوهم؟

ذهلت، كما حدث لها مرة وهي تظن أنها ترى دليلاً على أن لسانها السليط قد سلاه.. ولكن، كما حدث من ذي قبل سرعان ما

تلاشى كل أثر للتسلية.

أمرها: «رتبي مكتبك».

وعاد إلى مكتبه.

بعد خمس دقائق، انتهت سيل من ترتيب طاولتها وتنظيفها ومن وضع الأوراق التي عملت عليها في أدراجها فهي أوراق غير سرية لا حاجة إلى وضعها في الخزنة والدخول إلى مكتبه.. وهذا ما جعلها تحس بالارتباك حين سارت في مكتبها، وانتظرت حتى أقفل حقيبة أوراقه ثم رفع رأسه، فقالت:

ـ أنهى سمير يوم عمله.. على ما أعتقد؟

نظر موري بروكس إليها بدون أن يتكلم ثم قال بكبرياء:

ـ عليك إما الذهاب بمفردك إلى الفندق.. أو.. القبول بصحبتي.

الثوت بسرعة شفتاها، وارتدت عنه.. لم تتوقع هذا الرد منه.. وأملت ألا يلاحظ تسليتها.

كان الصباح التالي، يوم الخميس يوماً حافلاً بالعمل وكان موري بروكس في أسوأ حالاته..

أحست بالسرور لحلول موعد الغداء، وغادرت مكتبها لتلتقي بهيوغو مارتن في قاعة الاستقبال، ثم انطلقت معه إلى الغداء. لكن ما إن جلسا في المطعم، حتى اكتشفت أنها ليست الوحيدة التي عانت من لسان موري بروكس السليط ذلك الصباح.. إذ قال هيوغو متذمراً:

ـ ما إن قلت له «صباح الخير» حتى انهال عليّ توبيخاً.

ـ لمجرد قولك صباح الخير؟

ـ حسناً، أعتقد أن لديه سبباً شخصياً.. إنه يعمل كالعبد ليعيد انطلاق المفاوضات مع أوزوريس.. وما لم يكن يحتاجه ألا أتصل

بالسيد فوزي..

كان الاسم مألوفاً من خلال المطبوعات الأخيرة، فسألت:

ـ السيد فوزي؟ هل هو يوسف فوزي؟

ـ هو عينه.

ـ أليس هو أحد ممثلي شركة أوزوريس القانونيين؟

ـ نعم هو منهم ومن سوء حظي أنني كنت مشغولاً جداً بالأمس حين عاد السيد بروكس من اجتماعه ليطلب مني أن أحضر موعداً بين يوسف فوزي ودايفد اوربوري لبحث عقدة قانونية.

ـ يا إلهي!

تصورت أن موري بروكس سأل هيوغو عقب تحية الصباح عن الموعد الذي رتبه بين الرجلين فاكتشف أنه لم يفعل شيئاً..

ـ أعتقد أنك رتبت اللقاء الآن؟

ضحك هيوغو: أتمزحين؟ ما هي إلا دقيقتان حتى جعلت سمير يقلني إلى مقر شركة أوزوريس لأقابل السيد فوزي شخصياً، وكان أن تقرر الموعد بين فوزي ودايفد بعد الظهر. اعلمي أن السيد بروكس يحصل على ما يريد دائماً.

ـ أتظن أنه سيحصل على الاتفاق الذي يسعى إليه؟

ـ إن لم يستطع الحصول عليه فلن يستطيع أحد.

وتحدث لبعض الوقت عن صعوبات يجب التغلب عليها لدفع المفاوضات قدماً. ولكنه قال لها إن العقبات توالت عقبة إثر عقبة لذا استدعي موري بروكس حلال المشاكل.

بعد ظهر الخميس، كان أسوأ مزاجاً من الصباح. عادت سيل إلى فندقها ذلك المساء وكلها أمل ألا يتصل بها حسين فكل ما تريد أن تفعله هو رفع قدميها إلى الأعلى لتسترد أنفاسها وطاقتها.. فهي لا تعتقد أن لديها طاقة لتجد طريقة لبقة، لتقول له إنها لا تريد

الخروج معه.

على أي حال، لم يتصل حسين.. ودخلت سيل إلى فراشها لتنام. ثم عادت إلى العمل صباح الجمعة لتواجه يوماً مسعوراً كسابقه.. تلك الليلة اتصل حسين.. ولكنها في هذا الوقت كانت قد استراحت قليلاً.

وقال لها: «أجبرت نفسي على عدم الاتصال بك ليلة أمس لئلا تضجري مني».

ردت برقة: «آه! حسين».

سرعان ما ندمت على الدفء الذي عم نبرة صوتها، فقد بدا حسين بعد هذا وكأنه لا يريد مفارقة الهاتف.

ولكنها رفضت دعوته للخروج تلك الليلة.. وقبلت يوم السبت دعوة من ليندا اوربوري، زوجة دايفد، للذهاب إلى منزلهما للعشاء. لذلك كانت مسرورة حين اتصل حسين ليطلب منها العشاء معه، وكان أن تذرعت بحجة صادقة.

فقال بإصرار: «إذن، يجب أن تتعشي معي غداً».

فكرت قليلاً في الأمر، لكنها لم تجد سبباً للرفض.. إنه رجل لطيف.

قالت: «أيمكن أن نتناول العشاء في فندقي؟»

ـ لك ما تريدينه!

مع ذلك اتصل بها صباح الأحد ليتأكد من أنها لم تنس.

أعجبت سيل بليندا أوربوري حين تناولت العشاء معها ومع زوجها ليلة السبت.. وكان عشاؤها مع حسين أفضل بكثير مما توقعت. نعم لا تنكر أنها فضلت ألا يحاول امتلاك يدها اليسرى وهي تحاول أكل الأرز والسمك والبطاطا.. لكنه سرعان ما فهم الرسالة ما إن نظرت إليه بوقار وقالت:

ـ أنا أحتاج إلى يدي.. حسين.

صباح الاثنين، كان سمير موجوداً ليقلها إلى المكتب. دخلت إلى المبنى رافعة قامتها استعداداً للعمل الذي قد يرميه موري بروكس بوجهها ذلك الأسبوع.

كان في المكتب كالعادة قبلها ولكنه للمرة الأولى بدا مؤدباً وهو يلقي عليها تحية الصباح «صباح الخير».

على ما يبدو أن كليهما أمضى عطلة أسبوع جيدة.. هذا ما أدركته وهي ترد عليه بإشراق «صباح الخير» وترى أن عينيه لم تفارقا وجهها.

ولكن سرعان ما وجد موري بروكس أنه كان متمدناً أكثر من اللازم، إذ أعطاها تعليمات باردة:

ـ أدخلي ودفتر الاختزال.

تمتمت لنفسها وهي تدخل: إن قال لي في يوم ما «أرجوك» فقد أقع ميتة من شدة ذهولي. اتخذت مقعداً ونظرت إليه نظرة فاترة بعينين بريئتين.. ولكنها سرعان ما أدركت أنه التقط تمتمتها بقدرة قادر.

لم يعلق لكنه بدا عازم النية على الرد على وقاحتها. وقد ظهر ذلك في الدقائق الأربعين التالية إذ راح يملي عليها ما يريد بسرعة تفوق سرعته العادية. وكانت تتمكن من اللحاق به لاهثة، ولم تكن قط ممتنة لرنين الهاتف كما اليوم.

سألت برقة وهي تعرف أن جميلة ستتصل بالمكتب إذا لم ترد على الهاتف الخارجي:

ـ هل أذهب لأرد؟

ـ هاك!

رفع سماعته التي أعطاها إياها، فسألت:

ـ ألو . . جميلة . . هل اتصلت بي؟

ردت جميلة: «السيد حسني يتصل بك».

وحوّلت جميلة المخابرة إليها فقال حسين برقة فائقة:

ـ سيليا . . أنا مدمّر.

وبينما كان كل همها أن تنهي المخابرة، أردف يقول إنه منذ التقاها نسي أمر السفر إلى اليابان اليوم، وإنه اعتقد أن السفر في الأسبوع المقبل، ثم تابع مطولاً يشرح لها أن الوقت غير مناسب للسفر. الوقت غير مناسب إطلاقاً للاتصال أيضاً، هذا ما تأكدت منه وهي ترمق موري وتلاحظ الجليد المتجمع في نظرته . .

سألت حسين حين توقف ليلتقط أنفاسه:

ـ كم ستطول غيبتك؟

رد متذمراً: «أسبوعاً وربما أسبوعين».

ـ إذن ستجدني هنا حين تعود.

واستعدت لتقول أي شيء للخلاص منه.

سألها بلهفة: «أهذا وعد؟».

آه . . النجدة! رمقها موري بنظرة غاضبة، وبدا على استعداد لانتزاع الهاتف منها في أية لحظة.

أجابت بتهور: «أجل . . أعدك».

سارعت إلى إنهاء المخابرة لئلا يجد رئيسها حجة لطردها.

قال موري بروكس بسخرية وتجهم: «العلك لم تنه المكالمة بسببي؟»

ـ إنه حسين . . حسين حسني وهو مسافر إلى اليابان أسبوعاً أو أسبوعين.

رد بسخرية:

ـ جيد. ربما أستطيع الآن أن أتطلع قدماً إلى الاستئثار بانتباهك

الكامل في ساعات العمل.

وقبل أن ترد بأنها تعتبر ملاحظته إجحافاً، انطلق يكمل إملاءه، فاضطرت إلى دفع قلمها لتستطيع تدوين كلماته.

مر يوم الاثنين بسرعة، وكانت سيل فيه مشغولة حتى تبين لها أن عملها مع السيد روبرتس كان عملاً سهلاً. ولكن ما حيرها أن تفكر في أنها لن تستبدل هذا اليوم مقابل يوم آخر من أيام السيد روبرتس.

علام يدل هذا بالضبط؟ وعادت بعد العشاء تلك الليلة إلى غرفتها تفكر . . أيعني هذا أنها من النوع الماسوشي الذي يتلذذ بتعذيب نفسه، وأنها فعلاً تستمتع بالعمل لدى ذلك الخنزير موري بروكس؟

عندما اتصل بها حسين حسني في الثالثة من بعد ظهر اليوم التالي خالت للوهلة الأولى أنه لم يسافر ولكنه قال لها إنه يتصل من اليابان!

سألت: «أتتصل من أجل شيء محدد؟»

ـ اتصلت لأسمع صوتك سيليا.

يا إلهي! إن الوضع يخرج عن سيطرتها. كانت مسرورة من كل قلبها لأن السيد بروكس غير موجود في المكتب.

قالت بصوت معتدل:

ـ هذا لطف منك حسين.

ثم استخدمت كل لباقتها لتقول له إنها تفضل ألا يتصل بها في الشركة . . لكنها اكتشفت أن المشكلة في هذا، أن حسين اعتاد الاتصال بها بعد ذلك كل مساء في الفندق. وما إن حلّ يوم الجمعة حتى أصبحت أكثر لباقة في التعامل مع ملاحظاته الحارة.

وفي يوم الجمعة أيضاً، كانت قد أصبحت أكثر اعتياداً على

عملها في مصر . . وأحست بتقدم في المساعي مع مؤسسة أوزوريس. في صباح يوم وجدت أن الخطوات تتقدم فقد كانت جالسة وراء الآلة تنهي مسودة تحضيرية تتعلق بالمشاورات التي جرت بين يوسف فوزي وبين دايفد أوربوري وكانت قد بدأت بهذه المسودة بعد ظهر الأمس، وعملت حتى وقت متأخر، ولكن بما أن عدد صفحاتها كبير لم تستطع أن تكملها.

في الواقع، كانت توشك أن تنهي طباعة آخر صفحة في الثانية عشر والنصف. أخرجت الصفحات الأخيرة من الآلة وألقت نظرة عليها بحثاً عن الأخطاء فلم تجد شيئاً. . عرفت أن الوقت لن يطول الآن قبل بلوغ موري بروكس مرماه.

جمعت أوراق المسودة وتوجهت إلى المكتب الآخر. رفع موري رأسه فرأى الأوراق المرتبة.

ـ أهي تامة؟

ـ أجل.

أحست بالبهجة عندما راح يقلب الصفحات ويقول: «أحسنت صنيعاً».

تمتمت بفظاظة: «أبذل جهدي».

ـ إذن أبذلي جهدك لتعرفي إن كان بديع حسني حراً بعد الظهر. سآخذ هذه. .

وتوقف. . فقد رأى في ملامحها ما أوقفه، سألها بهدوء:

ـ ما الذي تعرفينه ولا أعرفه؟

تعرف أن بديع حسني بعيد عن الاسكندرية. .

ردت: «السيد حسني موجود في «الأقصر»».

رأت من الطريقة التي مال فيها إلى الخلف بأنه يريد معرفة ما هو أكثر.

ـ من أين لك هذه المعلومات؟ أظنني عرفت!

ـ أخبرني حسين.

ـ وهل عاد من اليابان؟

ـ لقد اتصل. . .

رمى العمل الذي سلمته إياه ووقف بطريقة عدوانية:

ـ متى؟

ـ ليلة أمس.

ثم بدأت تشعر بالغضب. . لِمَ ينظر إليها هكذا؟ يجب أن يعرف، لن تبوح أبداً بسر لأحد.

سألها: اتصل بك ليلة أمس. . من اليابان؟

ردت بتحد رافضة تهويله: «أجل».

عرفت من عينيه اللتين ضاقتا أن لهجتها لم تعجبه وكذا ما قالته، وهي بدورها لم تعجب بنظرة التفكير الباردة التي تصاعدت إلى عينيه. .

سأل: «ليست المرة الأولى التي يتصل بها من اليابان. . أليس كذلك؟»

ـ إنه يتصل كل. . .

وتلاشى صوتها بسبب توتر فك موري فجأة، ثم أكملت:

ـ لا. . ليست المرة الأولى!

قال لها، وعدائيته الآن مكشوفة:

ـ بل قولي إنه يتصل بك كل ليلة في الفندق. . كل ليلة منذ أعطيته التشجيع بأنه سيجدك هنا لدى عودته!

نظرت إليه مبلبل بذهول لأنه تذكر بدقة تفاصيل ما قالته لحسين في الهاتف.

حاولت أن تنكر: «لم أكن أشجعه!»

صاح ساخراً: «لا أدري ما تسمين هذا إذن! ولكن ربما لا تعترضين لأنه يسعى إليك ليطارحك الغرام وأظنك تجدين سعيه مناسباً لك».

قاطعته بغضب: «لا أجد ذلك مناسباً لي. أنا أبذل جهدي لأسير في خط وسطي فلا أريد أن أغضب الرجل الذي هو ابن الرجل الذي قلت إنه يمثل مؤسسة أوزوريس ولا أريد أن أكون غير وفية لشركتي.. وفوق هذا، إن حسيناً يعجبني ولكنني لا أنوي أبداً الذهاب معه إلى الفراش».

ابتعد موري خطوة عنها عندما أصبح كلامها في ذروته، ثم ارتد إليها ليقول بفظاظة:

ـ لن أسمح لك بأن تفسدي الجهود التي بذلتها في هذا العمل، بأن تقولي لحسين حسني بأن يهدىء من ثورة غرامه.

ردت ببرود: «لن يصل الأمر إلى هذا الحد».

قال ساخراً:

ـ هه! إن كنت تصدقين هذا حقاً، فأنت أكثر سذاجة مما تبدين.

ولكنه على ما يبدو لا يصدق أنها ساذجة أبداً، فكر لحظات.. ثم توصل إلى قرار جعلها تشهق:

ـ من الأفضل أن تقولي له حين يتصل إنك في غيابه أغرمت بي.. قولي له..

شهقت شهقة ملؤها الصدمة فصمت ولكنها رغم ذهولها ردت بسرعة:

ـ لن أفعل شيئاً كهذا! لماذا.. أنا غير معجبة بك حتى.. ولا أميل إليك!

وارتدت مبتعدة عنه.

افترضت أن موري بروكس لا يهتم أبداً بمن يتركه ويبتعد عنه

وسط مناقشة ولكنه جعلها تدرك عكس هذا حين أمسك ذراعها وأدارها لتواجهه.

قال بصوت راعد:

ـ ومن يريد منك أن تميلي إليّ؟ ولكي أثبت فكرة..

وقبل أن تدرك شيئاً، كان موري بروكس يجذبها إلى ذراعيه.

جعلتها الصدمة تبقى بلا حراك وكان هذا كل ما يلزمه ليشدها إليه.. لكن حرارته أجفلتها مجدداً وأعادت إليها الوعي بما كان يحدث. فجأة جن جنونها، ووجهت ركلة إلى عظمة ساقه، ولكنها أخطأت.. حاولت أن تلكمه ولكنه كان قد ثبت ذراعيها إلى جنبيها. فأخذت تلوي رأسها ذات اليمين وذات الشمال، أخيراً تمكنت من إبعاد رأسها عن صدره.

صاحت مذعورة: «اتركني».

عندما لم يتركها، وجهت ركلة أخرى إلى ساقه، وأخفقت مجدداً. وقبل أن تدري، عاد يمسك رأسها ويضمها إلى صدره.

ربما قاومت مدة دقيقة لتتحرر، ولكنها اكتشفت عن غير توقع إحساساً جديداً مختلفاً بدأ يخرج إلى الحياة. فجأة توقفت عن المقاومة.

ولكنها لم تدرِ متى أذعنت له وما عرفت متى بدأت تستجيب، بعدما اشتعلت فيها مشاعر لاهبة.

في الواقع، لم تكد تدرك أنها تستجيب له حتى أبعدها عنه. هو من كان يدفعها بعيداً عنه، ولم تكن هي من فعلت ذلك. تركها مذهولة غير قادرة على التصرف.

قال ساخراً:

ـ لقد أثبت وجهة نظري آنسة سوفنغ.. لا داعي إلى أن يعجبك الرجل أو إلى أن تميلي إليه.. فأنت تشتعلين بدون الحاجة إلى

هذين الشيئين اللطيفين.

مرت سيل في الدقائق العشر الماضية بسيل من المشاعر الحادة.. ولكنها أحست فجأة بشعور آخر.. العنف! فجأة فقدت مناعتها الذاتية لمنع ذلك وفي لمح البصر طارت يدها اليمنى في الهواء.

آلمتها يدها من قوة الصفعة الرهيبة الشرسة التي وقعت على وجهه.. ولكنها لم تكن نادمة.. رفعت رأسها في الهواء وعادت إلى مكتبها كالعاصفة. أخذت حقيبتها لتخرج من المكتب، ومن المبنى.. الخنزير! كم تتمنى أن تكون آلمته!

* * *

٥ ـ فجأة ابتسم...

بعد نصف ساعة كانت سيل جالسة في مقهى فندق مجاور، وفنجان قهوة أمامها. إنه وقت الغداء ولكنها بسبب الغضب الشديد لم تستطع تناول الطعام.. كيف تجرأ على ما فعل؟ يا له من رجل حقير! إنها مسرورة لأنها ضربته!

مرت نصف ساعة أخرى، طلبت فيها فنجان قهوة آخر.. قررت أن ترمي الوظيفة في وجهه فهي لا تريدها.. ستعود رأساً إلى انكلترا. نعم هي لم تشاهد الأهرام ولكن أشاهدتها أم لم تشاهدها.. سترحل.

عندما مرت عشر دقائق، ولم تتحرك للعودة إلى انكلترا أدركت أنها هدأت لكنها ما زالت غاضبة منه.. وبعد خمس دقائق أخرى راحت تفكر بعقلها لا بقلبها وغضبها المشتعل.

أدركت عندئذ أنها ستسدي لموري خدمة إن تركت الوظيفة.. وكم سيعجبه ذلك! لقد كان حاقداً على السكرتيرات الإناث قبل أن تصل.

في الدقيقتين التاليتين قررت عدم المغادرة فقد تذكرت كيف صممت في البداية على البقاء مهما فعل موري بروكس. بدأت تبعد التشبث برأيها. لن تهرب. إنها ماهرة في عملها. نهضت لتسدد فاتورتها ثم خرجت. هذه مسألة لا علاقة لها بمواهبها السكرتارية.

مرت بقربها سيارة أجرة قد تقلّها إلى فندقها، لكنها تجاهلتها.. لن تعود زحفاً إلى لندن، وهي تجر أذيال الخيبة.

كانت جميلة مشغولة بمكالمة حين دخلت سيل مبنى الشركة شامخة الرأس، ابتسمت لجميلة ثم راحت تصعد الدرج خافقة القلب وصولاً إلى مكتبها.

كان الباب المشترك بين المكتبين مقفلاً، وصلت إلى مكتبها حيث وضعت حقيبتها ولكنها لم تدرك حتى ذلك الحين إن كان موري في الداخل. لم يطل بها الوقت لتعرف، فما إن تناولت دفتر الاختزال لتبدأ بالطباعة حتى انفتح الباب المشترك.

رفضت النظر إليه بعناد وتابعت عملها.. حين أقفل الباب مجدداً لم يتقدم إلى الأمام، ظنت أنه مستند إلى الباب يراقبها فتعثرت أصابعها وتوقفت عن الطباعة.

أملت أن تخفي عذاب مشاعرها المفاجىء تحت واجهة باردة. رفعت عينين باردتين ونظرت إليه فأسرت عيناه عينيها.. فجأة عادت إليها الذكرى، ذكرى الطريقة التي ضغطت نفسها عليه، ذكرى استجابتها له فتوردت وجنتاها.

عرفت أنه لم يخف على نظرته شيء. لقد رأى بوضوح اللون الوردي الذي خضب وجنتيها.. لكن سيل فجأة لم تعد مهتمة بالواقع المثير للتوتر. كيف يحدث أن تتورد في هذه اللحظة بالذات بعدما توقفت عن ذلك سنوات؟ فجأة تذكرت ديان ماكفرسون.

نعم هي تشك في أن ديان حاولت كسر عظام خده كما فعلت هي، ولكنها شعرت بأنه ليس في يدها قرار العودة إلى لندن أو البقاء في مصر.. لم تكن متوهمة من قبل، لكنها الآن تعرف أنها ستواجه مصير الفتاة لو أصبحت «أنثى» أكثر من اللازم أمامه. وتذكرت مجدداً كيف عقدت ذراعيها حول عنقه، فجأة أصبحت متأكدة أنها

ستتلقى أوامر الرحيل.

استقام موري وقال ببرود:

ـ من الأفضل أن تعودي إلى فندقك لتوضبي حقيبتك، فلقد..

قاطعته بحدة: «هذا إجحاف..!».

ووقفت غاضبة ترفض السماح له بأن يتم كلامه، وتابعت:

ـ أنت من بدأت هذا! ضربتك لأنك.. لأنك.. بسبب ما قلته.. كنت تستحق ذلك.. أنت..

ولكنه لم يسمح لها بأن تكمل.. فقد صاح بصوت راعد:

ـ لا شأن لعدم قدرتك على كبح طبعك الناري في كل هذا! اذهبي واجمعي أغراضك..

صاحت:

ـ أيها الخنزير! أيها الحقير!

وهرعت نحو الباب عدواً.. وفتحته، ولكنها لم تخرج منه.. لأنه تكلم فجأة بصوت ساخر:

ـ توقفي عن الاطراء آنسة سوفتلغ.. وإلا غيرت رأيي بشأن الشقة التي وجدتها لك.

وقفت فاغرة فاها ثم ما لبثت أن أغلقت الباب وارتدت إليه. طار غضبها، وغمرها الخجل لأنها لو تركته ينهي ما بدأه بدل مقاطعته لما كان لديها سبب يدعوها لفقدان أعصابها..

سألت:

ـ وجدت لي.. شقة؟

رد ببرود: «اذهبي ووضبي أغراضك».

انتقلت سيل إلى الشقة التي وجدها موري في ليلة الجمعة ذاتها وكان أن أمضت يومي السبت والأحد مستمتعة بمسكنها الجديد.. فالإقامة في الفندق صالحة لقضاء يوم أو يومين.

في بعض الأوقات كانت تتذكر سوء ظنها بموري فتشعر بعقدة الذنب تغمرها، لقد أخطأت عندما اتهمته بالإجحاف. لقد شاهدت منه حتى الآن ما يجعلها تعرف أنه إنسان عادل.

كانت محبطة نفسياً بسببه وتشعر بأن من الواجب أن تعتذر منه.

لم تفكر سيل كيف ستذهب إلى العمل. لكنها تركت شقتها صباح الاثنين وخرجت إلى نور الشمس الساطع، فابتسمت لحارس المبنى، ثم رأت أمامها سمير المخلص.

ـ صباح الخير سيدتي.

ردت بحبور: «صباح الخير سمير».

بدأت أسبوعها بقول جميلة لها إن السيد بروكس في اجتماع مغلق مع دايفد اوربوري، وحين وصلت إلى مكتبها كان أول ما تلقته اتصال من حسين حستي في اليابان.

سرعان ما سألها:

ـ لماذا لم تخبريني بأنك ستتركين الفندق؟ حاولت الاتصال بك هاتفياً.

بدا في غاية الاستياء..

قالت له بحبور: «انتقلت إلى شقة جديدة يوم الجمعة».

ـ إذن عليك أن تعطيني رقم هاتفك.

تذكرت ساعتئذ أنها لم تر هاتفاً في الشقة:

ـ لا أظن أن لدي هاتفاً.

حين انتهت المكالمة وضعت السماعة من يدها.. وبدا لها أن لا جدوى مما اقترحه فكيف تطلب هاتفاً لشقتها وهي لن تمكث في هذا البلد وقتاً طويلاً.

مر أسبوع كان فيه حسين يتصل بها في المكتب يومياً وفي أحد الأيام قال لها بصوت دراماتيكي إنه لن يعود إلى مصر قريباً كما كان

يعتقد. في ذلك الأسبوع خرجت سيل للعشاء مع هيوغو مارتن فعرفت أنه طلق زوجته منذ مدة غير بعيدة وحاول عدم الكشف عن الجرح الذي ما زال يؤلمه. أما في المكتب فبدأت تحس «بضجيج» محدد بالنسبة للمفاوضات.. نعم لم تكن تجري الأمور دون عقبات مفاجئة. فقد طرأ على المسودة التي طبعتها تعديلات كثيرة وفي النهاية اضطرت إلى طبعها من جديد.

حين أوشك ذلك الأسبوع على الانتهاء شعرت بالإرهاق، ولكنها سرعان ما استردت نشاطها وكانت مسرورة برد ضيافة ليندا ودايفد اوربوري إذ دعتهما للعشاء في شقتها.

ما إن دخلت إلى مكتبها يوم الاثنين حتى خرج موري من مكتبه إليها. حدجها بنظرة طويلة فظنت أنه يتأهب لتوبيخها على شيء فعلته أو نسيته.

قال بفظاظة: صباح الخير.. يجب أن أسافر إلى القاهرة.

تمتمت: «سأجد ما يشغلني».

وبدأت بالبحث في أوراقها.. فاستغربت من أين يأتي هذا الكم كله من العمل..

قال ساخراً: «هه! توقفي عن التفتيش.. أنت قادمة معي إلى القاهرة».

كانت سيل قد سافرت من القاهرة إلى الاسكندرية من قبل، ولكن ذلك تمّ ليلاً أما في هذه المرة فكانت الرحلة نهاراً لذا رأت أن هناك فعلاً صحراء على جانبي الطريق، وأن الشمس تسطع بحرارة شديدة فوق الرؤوس.

بين الحين والآخر كان بطائعهما الاخضرار والأراضي الزراعية، لكن سرعان ما كانت تعود الصحراء إلى الظهور. لم يحدث شيء في أثناء الرحلة ولكنها لاحظت أن موري يركز أفكاره على أمور

عملية، ويستحسن صمتها. ما استغربته شعورها بالرضى في هذا الجو.

لازمها هذا الشعور إلى مكاتب شركة بيكون للنفط، وكم شعرت بالسرور لرؤية إيڤان جونز الذي بعدما حيّا رئيسها، ابتسم لها وبدا مسروراً برؤيتها:

ـ سيل.. كيف تسير الأحوال؟

قاطعه موري: «هل بايرد في مكتبه؟»

وقبل أن تدرك اقتادها إلى مكتب اليكس وأقفل الباب حيث بدأ للاثنهم بالعمل.

حين غرق الرجلان فيما بعد في بحث بعض الأرقام، خرجت سيل من الغرفة بحثاً عن القهوة. التقت بعزيزة، مثيلة جميلة في فرع القاهرة.. كانت عزيزة تتحدث الانكليزية بطلاقة مثل جميلة ولكن إيڤان أراد احتكار سيل.

قال: «إن هيوغو مارتن محظوظ».

سألت ببراءة: «لماذا؟».

ـ لأن مركزه الاسكندرية.

ثم انفتح باب اليكس بايرد ووقف موري هناك. لاحظت نظرته الساخطة فظنت أن هناك خطأ ما. لكنها أدركت وهو يخرج إلى الباب الخارجي أنه لم يكن ساخطاً، بل مشغولاً فكره بشيء ما.

نادت عزيزة وإيڤان:

ـ وداعاً!

وتبعت موري إلى الخارج.. فكرت أنه سيأتي يوم لن يفتح لها الباب، بل سيتركها تتدبر أمرها وتركض خلفه.

ولكنها لم تدرك أنها كانت تبتسم لأفكارها حتى سألها بنحد:

ـ ما الذي يسليك؟

لو عاملها بهذه الطريقة في يوم آخر لرفعت صوتها احتجاجاً ولكن الإحساس بالرضى ما زال يلازمها لذا لم تشعر برغبة ولو ضئيلة في الرد بغضب. فكان أن واجهت نظرته الشرسة بهدوء ثم ابتسمت فجأة:

ـ لقد شربت القهوة، أما أنت فلم تشربها!

أدار المفتاح بالباب، وانفتحت الأبواب الأربعة.

ـ اصعدي.

أحنت رأسها «لتصعد» ولكنها لمحت فمه يتحرك بما يشبه الابتسامة.

كانا على الطريق من القاهرة إلى الاسكندرية لمدة ساعة حين انعطف موري عن الطريق، وتوجه نحو مطعم حديث. لم تستطع سيل إخفاء فرحتها.. ليس من أجلها فقط، بل من أجله أيضاً. فهي ترى أن عليه أن يستريح قليلاً.

سألها وهو يرافقها إلى المطعم: «جائعة؟».

ـ أجل.

بعد انتهاء الطعام اقترح أن ينتزها سيراً على الأقدام على مروج خضراء معتنى بها جيداً. توقفت فترة قصيرة حين وصلا إلى قفص ببغاوات كبير وسرها أن موري لم يظهر نفاد صبره بسبب توقفها هناك. بعد ذلك تقدما ليتفرجا على بضع دجاجات. وفي أثناء العودة إلى السيارة أدركت سيل، ويا للغرابة، أنها استمتعت بيومها. وهذا ما جعلها تدرك أنه حان الوقت للاعتذار منه خاصة وهو في أحسن حالاته.

ـ أنا لم.. أقل حتى الآن إنني آسفة.

ـ لأنك تناولت القهوة في مكتب القاهرة، وتركتني أموت عطشاً؟

اعترفت ضاحكة، وقالت بجد:

- لا.. لأنني ظننتك مجحفاً بحقي.

- اعتذارك مقبول.

ولم يضف كلمة ولكنه ما لبث أن سألها:

- أما زال حسين يتصل بك كل مساء من اليابان؟

كان صوته منخفضاً.

قالت له: «لا.. لا هاتف في الشقة».

- لكنه عرف بانتقالك من الفندق؟

- اتصل بي.. في المكتب، عندما عرف من الفندق أنني رحلت.

- إذن عاد إلى الاتصال بك في المكتب يومياً؟

ردت بحدة وقد تلاشى كل رضاها النفسي:

- ليس كل يوم! معظم الأيام!

- وهذا أمر كنت تحتفظين به لنفسك؟

- لا شأن له بالعمل!

رعد صوت موري: «بل له كل الشأن. فما دمت مسؤولاً عن هذا المشروع أريد معرفة كل ما يدور حولي.. وكل ما يتعلق بأحد أفراد أوزوريس.. إن ولاءك الأول يا آنسة سوفتنغ، هو لي لأنك تعملين في الشركة!»

صاحت:

- أنت غير عادل.. أنا وحسين مجرد.. صديقين.. لذا لا شأن للعمل بصداقتنا.

صاح كالعاصفة:

- لا تكوني حمقاء لعينة هكذا.. إنه ابن الرجل الذي يدير أوزوريس..

شعرت بالغضب لأنه نعتها بالغباء.. حمقاء لعينة.. نظرت من النافذة الجانبية.. ومنذ تلك اللحظة وحتى بلوغ الاسكندرية، لم تتفوه بكلمة أخرى.

عندما وصلا كان غضبها قد فتر، فقد تذكرت أن حسيناً هو ابن بديع حسني الوحيد وهذا ما دفعها إلى التساؤل عما إذا احتج حسين لأبيه في شأنها لسبب ما، إن أمراً كهذا قد يدفعه إلى تغيير رأيه في صفقة تقدر بملايين من الجنيهات.

وجدت صعوبة كبيرة في ابتلاع اتهامها الثاني لموري بالظلم ولكن عندما أوقف سيارته قرب مكاتب الشركة لم تستطع دفع نفسها للاعتذار مجدداً، فهي ما تزال ساخطة من نعته إياها بالحمقاء اللعينة.. أضف إلى ذلك أنها اعتذرت مرة في هذا اليوم، وهذا برأيها أكثر من كاف.

كانت عند رأيها عندما أقلّها سمير إلى شقتها تلك الليلة.. ولم يتغير رأيها حينما أعادها إلى المكتب في الصباح التالي.. مع أنها حين ذهبت معه إلى اجتماع سيعقد بينه وبين بديع حسني لم تستطع إلا الإعجاب بموري فقد شهدت بأم عينها الطريقة التي تعامل بها مع كل نقطة عالقة أو معضلة. تصورت أن «حلال المشاكل» يدخل المفاوضات شاهراً سلاحه، لكن الأمر لم يكن هكذا.. ولم يكن هناك شك أن موري قد يصبح قاسياً حين تستدعي الحاجة.. ولكن صبره اللامتناهي أذهلها، أما دبلوماسيته فمن أرفع المستويات وهي ظاهرة في رفضه أو لينه.

رأت سيل بوجه عام ذلك الصباح لماذا كانوا يرسلون موري إلى أي مكان حين تفشل كل المساعي.. ففي نهاية ذلك اللقاء حقق اختراقاً مؤكداً.

أمضت بعد الظهر تطبع صفحة بعد صفحة عن أمور شديدة

السرية، أحست أنها قادرة على مسامحة موري بعدما فقد أعصابه معها، كما حصل بالأمس. ولكنه ما زال يثق بها، فهو لم يصحبها فقط إلى الاجتماع معه، بل كان يسلمها أرقاماً وأسراراً لو حصل عليها أي منافس لدفع ثمناً باهظاً.

ولأنها تعلم أن العمل طارىء ومستعجل، عملت تلك الليلة حتى وقت متأخر، ولكنها لم تكن قد طبعت غير نصف ما أمامها عندما حلت الساعة الثامنة، ودخل موري الذي كان يعمل مثلها ليقول باختصار: «كفى اليوم».

قضت كل صبيحة الأربعاء في الطباعة ثم حملت ما طبعته إلى موري الذي استدعى دايفيد اوربوري إلى مكتبه. وعندما استدعاها لتدخل في الرابعة من بعد الظهر كان بمفرده وكانت الأوراق التي طبعتها أمامه، فاتضح لها عندئذ أنه ودايفيد كانا يراجعان الأوراق بدقة.

قال لها: «هلا عملت حتى وقت متأخر الليلة أيضاً؟»

أن يطلب منها هذا أمر إيجابي، مع أنها تعرف أنه سيعلق بشيء لاذع لو رفضت. أحست أن للطلب علاقة بالعمل الذي تنجزه..

أجابت بجد: «بالتأكيد.. هل من خطب؟»

رد: «لا أبداً، نحن على الدرب السوي».

أملى عليها في الساعتين التاليتين مواد أضيفت إلى العمل الذي يشغلها.. سيل، التي أصبحت على معرفة تامة بالطريقة التي يبني فيها موري جمله، عرفت أنه طلب رأي دايفيد اوربوري القانوني في مسائل محددة.

كانت تشعر بالإثارة بسبب ما يجري ثم ما لبثت أن بدأت تشعر بالتوتر عندما أملى موري آخر نقطة. حاولت أن تبقى هادئة، ولكنها لم تستطع منع نظرة الإشراق والانفعال عن عينيها حين رفعت رأسها

لتقول:

- هذا هو.. أليس كذلك؟ العقد أعني! لقد حققت مآربك! أنت..

وتلاشى صوتها بسبب نظرته المصعقة إليها.

مال إلى الخلف في كرسيه، وقال لها مبتسماً فجأة:

- صحيح.. الآن عليّ أن أتوجه إلى المطار.

- المطار؟ أنت.. ستقابل طائرة قادمة؟

- بل سألحق بطائرة ما.. لأنني مسافر إلى انكلترا.

خفق قلبها فجأة.. لقد أنهى عمله.. ولن يعود! استدعت طبيعتها التي لا تتأثر بسهولة لتقول له:

- لا شك أنك سعيد بما أنجزت.

ابتسم لها مرة أخرى، فشعرت بسعادة لا توصف.

قال: «لن أعتبر عملي منجزاً حتى أرى توقيع بديع حسني قرب توقيعي على العقد البدائي».

هبَّ على قدميه ثم قال لها إن دايفد اوربوري سيعمل حتى وقت متأخر أيضاً وأنه سيقلها إلى المنزل.. ثم، وبعدما فكر في كل شيء راح ينظر إلى وجهها بثبات ويقول:

- أراك لدى عودتي.

سار نحو الباب، وهناك ارتدّ لينظر إليها مجدداً:

- وداعاً سيل.

بعد خروجه ظلت سيل تحدق إلى الباب الذي أغلقه وراءه.. ولم تستطع أن تتماسك قبل بضع دقائق لأنها أدركت أنها ستشتاق إليه، إنما ما خطبها؟ أتلقت ضربة شمس؟

أخيراً تركت مكتب موري وعادت إلى مكتبها.. ونظرت إلى ما عليها طباعته من إضافات إلى التعديلات وتعليمات على العقد،

فقررت البدء فوراً.

مضت الساعة التالية كلمح البصر ولكنها لم تكن كافية لتقلل من كمية الحمل أمامها. ثم دخل دايفد اوربوري ليقول لها إنه سيتوقف عن العمل.. فقالت وهي تلملم الأوراق:

ـ هل أستطيع وضع أوراقي في خزنتك؟

ـ بالتأكيد.

طال الوقت بسيل تلك الليلة فقد وجدت أفكارها تتجه مراراً ومراراً إلى موري بروكس الذي هو الآن في طريقه إلى انكلترا.

افترضت أن لديه اجتماع مجلس إدارة في الصباح الباكر.. وتساءلت عما إذا كان سيجد فرصة لينام قليلاً خلال تلك الرحلة.. بعد قليل تساءلت يا الله ما الذي يهمها في هذا كله؟ على أي حال لقد عملت مع هذا الرجل الذي تعرف أنه لا يحتاج إلى نوم.

أجبرت نفسها مدة قصيرة على إبعاد أفكارها عنه، فراحت تفكر في الرجل الذي وضع الكثير من العراقيل في درب موري، إنها في مصر منذ ثلاثة أسابيع.. وإن كانت قد عرفت شيئاً في تلك الفترة، فهي أن بديع حسني لم يجعل الوصول إلى الاتفاق سهلاً. بعد بلوغ الاتفاق أخيراً، سيلتزم به.. إنه رجل شريف مثل موري بروكس مع أن بعض التعديلات الطفيفة قد تضاف قبل التوصل إلى الصيغة النهائية.

كان التفكير في بديع حسني وفي ما سيؤدي العقد في النهاية من ازدهار لشركتي بيكون وأوزوريس آخر ما فكرت فيه قبل أن يطرق النوم جفنيها.. فهي في ذلك الوقت باتت غير قادرة على كبح ذكر تلك المشاعر المجنونة التي استولت عليها والتي اختبرتها بين ذراعي موري.

يا إلهي! لا شك أنه أحب هذا.. أليس كذلك؟ تستطيع رؤيته

الآن يقول لها ما قاله لها في النصف ساعة الأولى على لقائهما، إن لديه ما يكفي من مشاكل.. دون اضطراره إلى اقتطاع وقت لفرض النظام على موظفة جديدة وضعت في رأسها فكرة تمثيل دور الأنثى أمامه.. شدت سيل الأغطية فوق رأسها لتنام.

كان يوم الخميس يوماً عملت فيه حتى أرهقت نفسها، وكان الجمعة يوماً مماثلاً.. أخيراً دفعت عنها الآلة الكاتبة وذلك في الساعة الثالثة وأخذت تلقي نظرة على العقد الذي أمضت يومين في طباعته، وسامحت نفسها على الإحساس بالفخر حين وقعت أخيراً الملف الذي لا أثر للخطأ فيه من يدها. ثم رن الهاتف على مكتبها، وكان المتصل هيوغو مارتن.

قال ممازحاً: «أليس لديك منزل تذهبين إليه؟»

نظرت بسرعة إلى ساعتها فوجدت أنها تجاوزت الخامسة فأجابت:

ـ قل لسمير أن ينتظرني. يجب أن أعطي شيئاً لداڤيد حتى يضعه في الخزنة، ثم أكون مستعدة لـ..

ـ سمير هنا ولكن دايفد ليس هنا.

ـ ليس هنا؟

ـ قال شيئاً عن رغبة ليندا في السفر إلى أسوان في نهاية الأسبوع، لهذا خرج باكراً.

فكرت سيل لحظات.. في المبنى خزنتان فقط وليس لديها مفتاح لأي منهما ولكن هناك محفظة الوثائق التي عليها استخدامها وقت الحاجة..

قالت لهيوغو:

ـ سأكون معك بعد خمس دقائق.

فتحت درج مكتبها وأخذت حافظة الوثائق الجلدية التي لم

تبصر النور في الأسابيع الأربعة الماضية. فكرت وهي تخرج من المكتب والحقيبة في يدها أنها ربما تبالغ.. ففكرة اقتحام أحد المنافسين المكاتب بعيدة الحدوث.. ولكن التجسس الصناعي أمر واقع في جميع الأعمال.. وهي لم تكسر ظهرها جلوساً في طباعة التفاصيل المحددة لتسرق.. وضعت كتدبير إضافي، إضافة إلى نسختين من العقد، ملاحظاتها ودفتر اختزالها في الحقيبة أيضاً.

ما إن أنزلها سمير قرب منزلها حتى دخلت إلى شقتها، واسترخت وهي تحتسي فنجان شاي ثم دخلت إلى الحمام لتغسل شعرها مقررة تركه يجف بمفرده. وفيما كانت ترتدي مبذلها دخلت إلى المطبخ لتحضر لنفسها وجبة طعام.

تناولت طعامها، ورفعت الصحون عن المائدة، وكانت تفكر في ما إذا كان عليها كتابة رسالة أخرى لذوبها ولكنها في الوقت عينه كانت تفكر في أنها قد تصل انكلترا قبل أن تصل الرسالة، فعملها في مصر يشرف على الانتهاء. فجأة رنّ أحدهم باب الشقة.

عرفت لا أحد مشبوه قد يسمح له الحارس بالمرور، لذا تأملت روبها فوجدت أنه مربوط بأمان، ثم فتحت الباب قليلاً. فجأة خفق قلبها بجنون فقد رأت موري واقفاً بالباب. ففتحت الباب أكثر، وهي تصيح استغراباً:

ـ مو.. سيد بروكس؟ متى عدت؟

كان رده أن تفرس بها من قمة رأسها الأشقر إلى أخمص قدميها.. ثم ابتسم ببطء ابتسامة دافئة، وقال برقة:

ـ موافق.. لقد حان الوقت لتستخدمي اسمي الأول.

ـ أدخل.

فجأة أدركت أن شعرها المغسول حديثاً كان ناعماً كالزغب، وأن وجهها خال من الماكياج، وأنها بحاجة إلى لحظات وربما

دقائق لترتب نفسها.

ارتدت تبتعد عنه، ولكنها ارتدت مجدداً عندما لحق بها إلى غرفة الجلوس وراحت تنظر إليه.. بدا عزيزاً بشكل غريب هذا الرجل الطويل، العريض المنكبين، الرمادي العينين الذي بدأت تعترف أنها اشتاقت إليه في اليومين الماضيين.. لكن فيما هي مشغولة في رفض فكرة اشتياقها إليه، رأت عينيه تجولان في غرفة الجلوس، ثم سألها:

ـ هل استقريت تماماً هنا؟

ردت: «أوه.. أجل».

امتنعت عن الإشارة بأن لا مجال للاستقرار هنا إذ هي راجعة إلى بلادها بعد وقت غير بعيد.. ولأنها المرة الأولى التي يسألها فيها عن هذا منذ وجد لها الشقة ابتسمت له بود، وقالت:

ـ هل أقدم لك شراباً؟

أحست بالراحة حين وافق على فنجان قهوة، فما لديها من مرطبات محدود.. تركته يجلس في غرفة الجلوس، وذهبت إلى المطبخ لتفكر في ما إذا كان عليها أن تذهب لتغير ثيابها. أعدت القهوة وهي تتساءل عما إذا كان سيظنها غبية إن غيرت ثيابها، فهو لن يمكث أكثر من الوقت اللازم لشرب قهوته.. ثم أحست بالغضب من نفسها فكيف تتوتر هكذا وهي المرأة التي تسيطر دوماً على انفعالاتها وتقدر على اتخاذ القرارات الإيجابية؟

حينما حملت الصينية إلى غرفة الجلوس كانت في روبها المنزلي، وبعدما وعظت نفسها باختصار عادت لتسيطر على أعصابها، ثم قدمت إليه فنجانه.

سألته: «كيف حال انكلترا؟»

ـ ممطرة.

نظر إلى فنجانه لحظات، ثم رفع عينيه ينظر إلى عينيها ويسأل بعفوية:

- ملهوفة للعودة؟

ضحكت: «إلى المطر؟».

- بل إلى رجل.

اعترفت بخفة: «ليس لدي رجل محدّد».

- وليستر آثمور؟

- صديقتي باتي أكثر مني اهتماماً به.

وجدت نفسها تخبره عن جماعة المسرح، ودورها غير التمثيلي، وكيف اتفق أن كانت في صحبة ليستر في الليلة التي وصل فيها التلكس من القاهرة.

علق موري حين انتهت:

- إن ذلك لمن حسن حظنا.

نظرت إليه وهي ترى أنه مسرور لأنها من أرسل إلى مصر.. ابتسم فجأة.. ففتنت ابتسامته سيل مرة أخرى، لكنها تذكرت، أنه لا يرغب في سكرتيرة أنثى.

تمتمت وهي ترتشف قهوتها:

- هل أفهم من هذا أن سكرتيرة أنثى ليست سيئة على أي حال؟

تجاهل سؤالها بسهولة: «بمناسبة الحديث عن العمل اتصل بي بديع حسني حال وصولي».

سألت بلهفة: «أما زال كل شيء على ما يرام؟»

رد بثقة رجل يعرف عمله، ويعرف أنه قام به بطريقة صحيحة.

- بالتأكيد. ما إن نوقع ذلك العقد، حتى يصبح مؤكداً، مع أن مكاتبنا القانونية قد تحدث به بعض التعديلات القانونية.

همّت سيل بسؤاله عما إذا كان عليها أن تهتم الآن، ولكنها

تذكرت شيئاً فجأة فصاحت بسرعة:

- آه! اضطررت إلى إحضار نسختي العقد معي إلى هنا!

- صحيح؟

- لم تسنح لي الفرصة لوضعهما في الخزنة قبل خروج دايفيد الليلة.

أحست بالدفء بسبب رد موري:

- إنها غلطتي.. كنت في طريقي إلى المطار عندما تذكرت أمر مفاتيح الخزنة التي كنت أريد تركها معك.

جعلها هذا الاطراء تنسى نيتها في إحضار الحقيبة التي تضم الوثائق.. وسامحته على نسيانه:

- كنت مشغولاً كثيراً ذلك اليوم.

صحح لها: «بل كان كلانا مشغولاً، والآن أعود إلى الحديث عن بديع الذي اتصل بي منذ قليل ليدعونا إلى منزله في الأقصر لقضاء بضعة أيام».

- الأقصر! نحن!

فجأة بدأت تحس بالإثارة ولكن ما لبثت إثارتها أن بدأت تخبو حين رأت عبوس موري المفاجيء فلفهمت أن خطباً ما في الأمر.

سألت: «ليس.. نحن؟»

رد بشيء من البرود في تصرفه:

- لقد وافقت على ذهابنا إلى الأقصر، لكنني رفضت دعوته للإقامة في منزله.

سألت وهي لا تفهم السبب:

- رفضت؟ لأن الأمر غير مناسب من الوجهة العملية؟

رد بنفاد صبر: «ما إن نوقع ذلك العقد حتى نصبح معاً في الجانب نفسه من الأعمال.. والآن أعلمك أن ابنه عاد».

أثار انقلاب موري من رجل مرح إلى رجل قاسٍ ساخر ارتباك سيل، ولم تفهم ما يقول:

ـ وما شأن وجود حسين في المنزل بـ...؟

كان هذا كل ما قالته لأنه انفجر يقاطعها:

ـ أين أمضيت حياتك بحق الله؟ فكري في الأمر يا امرأة.. ألا ترين أنه يسعى لاهثاً وراءك؟

ردت بحرارة وإن بارتباك بسبب غضبه:

ـ بالتأكيد لا.

صاح: «بل نعم.. ألم تتمكني من فهم هذا؟ هل أنت بريئة كما تبدين؟»

لم يكن لديها نية في تأكيد هذا له، وأدركت أنه لن يرضى قبل أن يتلقى الرد الشافي على أسئلته..

ـ هل أنت عديمة التجربة؟

لم يعجبها الإحساس بأنه يستجوبها في أمر خارج عن مضمار العمل، فأجابت: «وما شأن هذا في كل شيء؟»

عندما كانت تراقبه غاضبة رأت نظرة الاستغراب تنقلب إلى ذهول كامل.. فعرفت أنه قرأ كل الحقيقة دون الحاجة إلى رد.

ـ آه! يا الله!

سألت وقد عادت كراهيتها له من تلك اللحظات:

ـ وماذا أفهم من هذا؟

اكتشفت أنه لم يكن معجباً بها كذلك، فقد وقف استعداداً للخروج وسخر منها:

ـ كم أود لو سلبتك هذه البراءة بنفسي ثم رميتك للذئاب!

ردت بغضب: «حينما أرغب في مثل هذه المعاملة المشكوك في نيتها أعلمك».

وقفا وجهاً لوجه ينفثان نار الغضب والعداء على بعضهما بعضاً.. نظرت سيل إلى جحيم عينيه الرماديتين فقرأت فيهما أنه سيكون سعيداً لو خنقها. ثم، وهي تشعر أنها لن تمانع أبداً لو هاجمته، أدركت فجأة سخرية الموقف المرحة. في تلك اللحظة رأت شفتيه تلتويان.. ثم، في الوقت نفسه أغرقا في الضحك.

لا تدري من تحرك أولاً بعد انقطاع الضحك.. لكن فجأة، وفيما موري ينظر إليها وهي تنظر إليه وجدت نفسها بين ذراعيه.. ضمها ببطء معانقاً، ثم ابتعد عنها واتجه إلى الباب، ليقول ما إن وصل إليه:

ـ أراك في الصباح.

ـ عائد لترائي؟

تمتم: «قلت لك.. إننا ذاهبان إلى الأقصر».

كان قد رحل حين خرجت سيل من حالة الذهول.. مع ذلك بدت ابتسامة طفيفة بطيئة تعلو وجهها.. إنها ذاهبة غداً إلى الأقصر.. ومعه!

بعد دقائق، تذكرت أنه قال إن الرحلة قد تستغرق بضعة أيام ففكرت أن عليها توضيب حقيبتها.

* * *

٦ ـ أي جنون هذا؟!

استيقظت سيل باكراً صباح يوم السبت.. مدعية أمام نفسها أن سبب استيقاظها المبكر توقعها قدوم موري مع بزوغ الفجر فعليه اجتياز خمسمئة ميل حتى الأقصر.

عندما انبلج الفجر كانت مستيقظة وكان الوقت بالتحديد حوالى الخامسة والنصف والواقع أنها تركت فراشها بسبب ليلة من النوم الرديء.

استحمت وارتدت ملابسها في وقت قصير.. ثم تذكرت عناق موري اللطيف لها.. ولكنها لم تشأ التفكير فيه، فليس فيه ما هو مميز على أي حال ولا تريده أن يكون مميزاً. يا الله! إن سبب العناق لحظات من التعاطف بعد إغراقهما في الضحك.

أبعدت الذكرى بحزم عن تفكيرها، قررت أن ما أنساها تسليم نسختي العقد هو ذكره الأقصر لا عناقهما. فكرت في ما إذا كان عليها حمل الوثائق معها في حقيبة ثيابها، وكانت في النهاية قد قررت حملها.. ربما سيذهبان إلى الأقصر بالقطار، أو بالطائرة.. ومن أجل الأمان قررت أن تكون الحقيبة الجلدية الهامة في مكان تراه دائماً.

ألقت نظرة على شقتها فوجدتها مرتبة نظيفة.. ثم جلست تنتظر موري ولكنها تمنت لو سألته عن موعد قدومه إليها.

كانت الساعة الثامنة والنصف حين رن جرس الباب، هرعت بسرعة نحو الباب الخارجي، ولكنها تسمَّرت في مكانها فجأة فقد غمرها إحساس بخجل شديد وهي ترى موري مرة أخرى.. يا إلهي.! لا تذكر أبداً أنها شعرت بمثل هذا الإحساس.. ألأنه عانقها بلطف؟ إنها في الثالثة والعشرين.

بعد إلقائها محاضرة سريعة على نفسها تقدمت لتفتح الباب وهي تتذكر كيف افترقا ليلة أمس حيياً. أخيراً فتحت الباب.

قال موري ساخراً: «لقد أخذت وقتك؟»

سرعان ما تلاشت ابتسامتها، وابتلعت الكلمات التي مفادها أنها لن ترافقه إلى الأقصر. تذكرت في الوقت المناسب أنه رئيسها، فرفعت رأسها إليه فطالعها وجه غير مبتسم، عابس.. قد يكون اليوم هو يوم سبت ولكنها لم تعتبر أنها سكرتيرة من التاسعة حتى الخامسة، ومن يوم الاثنين حتى يوم الجمعة.. هكذا تراجعت لتأخذ حقيبتها، ومحفظة الوثائق، وحقيبة الكتف.. وقالت برقة:

ـ نسيت متى قلت انك قادم.

نظر إليها ساخراً: «أرى أنك تسافرين خفيفة اليوم!»

تناول حقيبتها من يدها، وتركها تقفل شقتها.

كانت سيل تفكر في أنه وغد عندما انضمت إليه في سيارته.. وستكون ملعونة إن شرحت له أنها لم تستطع الخروج ليلة أمس لشراء أية حقيبة أصغر من التي تحملها، وأخذت ترغي وتزبد وهما يبتعدان. لاحظت بعد قليل أنهما يتجهان إلى المطار ولكنها قررت عدم التفوه بكلمة.

الواضح أن صمتها في أثناء الرحلة إلى المطار لم يؤثر فيه. فلقد تجاهلها كلياً، ولم يكلمها إلا بعدما أوقف السيارة وحمل حقيبتهاوحقيبته وحقيبة أوراقه ثم التفت يشير إلى حافظة الوثائق:

ـ أحملت معك العقد؟

ـ نعم النسختان.

كانت تمسك بالمحفظة وهما يدخلان إلى مبنى المطار، فتمنت لو تضربه بها على رأسه.. ماذا جرى في ساعات الليل حتى تحوّل من رجل مرح إلى رجل متوحش نكد؟

لم يطل بها الوقت لتعرف الرد.. لم يحدث شيء.. وهل كان يوماً مختلفاً؟ ألم يكن على هذه الحال دائماً؟ لطيفاً أو تقريباً لطيف في دقيقة، ثم بدون سبب معروف، يصبح شرساً معها.

كانت تفكر كيف استطاع موري أن يخاطر بالعقد الذي تعب في تحقيقه برفضه دعوة بديع للإقامة في منزله. ولكن مما شاهدته فهمت أن الرجلين موري وبديع يكنان لبعضهما بعضاً احتراماً مشتركاً، احتراماً يبلغ حدّ الصداقة. لذا ليس من المستغرب أن يدعوه بديع إلى منزله بدافع الإحساس بالصداقة.

إن لدى موري قدراً كبيراً من اللياقة ولكنه لا يضيع شيئاً من هذه اللياقة عليها.

وجدت سيل الأقصر أشدّ حرارة من الاسكندرية لذا شعرت بالراحة لأنها ترتدي ملابس قطنية خفيفة، عندما غادرا المطار بواسطة سيارة الأجرة كانت حافظة الوثائق معها.

كان الأقصر صاخباً ونشط الحركة كالاسكندرية. وتساءلت عما إذا كانت ستتاح لها فرصة رؤية معبد الأقصر، ولكنها بدأت تشك في هذا. فهي في مصر منذ شهر ولم ترَ حتى الآن الأهرامات!

وقف التاكسي أمام فندق صغير أنيق، ولأن موري متوحش متحكم، تمنت سيل وهو يسير بخطى واسعة نحو مكتب الاستقبال، أن يقولوا له إنهم لا يملكون غرفة شاغرة بسبب كثرة السواح.

قال موظف الاستقبال حالما انتهت الإجراءات:

ـ سأنادي حمالاً يحمل حقائبكما.

والتفت موري إلى سيل، وقال باختصار:

ـ أنا مشغول بعد الظهر.. تناولي بعض الغداء..

صمت فجأة وهو يدرس وجهها، فلمحت وميض رقة في تعابير وجهه.. أو هذا ما ظنته لأنها عرفت أنها أخطأت حالما اختفت تلك النظرة. وقال لها بصوت فظ:

ـ ستتعشى في منزل بديع حسني هذا المساء.. من الأفضل أن تستريحي بعد الظهر.

ارتدت سيل وسارت خلف الحمال.. تفكر: شكراً لأنك أخبرتني بأنني أبدو متعبة! لكنها لا تريد أن تستريح، ولا تحتاج إلى الراحة.. اللعنة! لماذا يدأب على تكديرها.

شكرت الحمال، وأعطته البخشيش المتوقع. ولأنها لاحظت أن غرفتيهما متلاصقتان، تأكدت أن تكون الحقيبة الصغيرة في واحدة منهما وحملت هي الأخرى.

تذكرت أنه لم يقل لها إنه سيعمل، بل قال إنه مشغول بعد الظهر. آه! فليذهب إلى الجحيم.. عندما بدأت تطالعها صور عن الأمر الذي هو منشغل به بعد الظهر، طلبت خدمة الغرف.. وكانت الساعة تقارب الثالثة حينما قررت أن تفرغ حقيبتها.

لم يدم إفراغ ملابسها طويلاً، فخرجت إلى الشرفة حيث راحت تتأمل المنظر بإعجاب. كان يتدفق عصب الحياة في مصر: النيل فراحت تراقبه. رأت فيه عبارة مزدحمة تتجه إلى الجانب الآخر من النهر حيث العشب الأخضر الثابت، وأشجار البلح.

ظلت على شرفتها مأخوذة بالعظمة التي أمامها، تدبر رأسها هنا وهناك، تراقب كل ما هو منتشر على مد النظر.. ثم وصل الخادل حاملاً طعامها.

على الشرفة كرسيان وطاولة فراحت تتناول الطعام هناك وتتأمل في الوقت ذاته أشجار النخيل، التي يتدلى منها البلح على مستوى الشرفة.. ثم أدركت أن شجرة البلح ترتفع فوق الشرفة وهي في الطابق السادس.. فكم يبلغ طول هذه الشجرة حياً بالله؟

لم تصل إلى الرد، فمع انزعاجها، وكأنما هو مصمم على هذا دائماً، بدأت تفكر بموري وأخلاقه الشرسة ذلك اليوم، وبدأت تتوتر.

اللعنة على الرجل.. لحظات الارتياح منه لم تكن كافية.. لكن بانتهاء وجبتها، وتلاشي سعادتها، تركت الشرفة وقررت أن تغير ملابسها، وفي نفس الوقت أن تتحدى طلبه منها أن ترتاح وتخرج.. فمنذ متى يهتم لو استمرت متعبة حتى تقع؟

خلعت ملابسها، فضلت أن تستحم.. بعد الحمام نظرت إلى أظافرها فعلمت أنها بحاجة إلى القليل من التقليم. وضعت روب المنزل حول جسمها، وجلست تعتني بأظافرها.

لم يكن لديها فكرة متى نشاءبت بالضبط، فقررت الاستلقاء لحظات. وعندما استيقظت وجدت الظلام قد حلّ. أضاءت مصباحاً، ثم أطفأته حين تذكرت البعوض.. ثم تقدمت لتقفل باب الشرفة وعادت لتضيء الغرفة ثم راحت تبحث عن ساعتها.

أحست بالراحة وهي ترى أن الساعة لم تتجاوز السابعة. المصريون الذين تعرفهم يتناولون العشاء في وقت متأخر. ومع أن «صاحب السعادة» في الباب المجاور لم يعطها فكرة عن الوقت الذي سيصطحبها فيه اعتقدت أن عليها أن تكون جاهزة قبل الثامنة.

قبل الثامنة بعشرين دقيقة كانت جاهزة، وكانت قد استحمت مجدداً وارتدت فستاناً حريرياً عاجي اللون، ثم وضعت بعض الماكياج على وجهها.. بعد دقائق كانت تلقي نظرة أخرى على

شعرها الطويل الأشقر الشاحب، حين سمعت الباب القريب من بابها ينفتح ثم يقفل.

عرفت أن أذنيها لم تخدعاها حينما سمعت شخصاً يمر ببابها ويرمي تحية متمدنة، ثم صوت موري يرد.

ـ مساء الخير.

بدأ قلبها يسيء التصرف بشكل غير معقول. لكن لم يكن أمامها سوى ثانيتين لتتمالك نفسها.. بعد هذا سمعت قرعاً على بابها.. فتمهلت سيل قليلاً لتلقي نظرة أخرى على المرآة فوجدت أن فستانها مناسب. ثم تقدمت إلى الباب، ولكنها تذكرت محفظة الوثائق التي ما تزال معها، فعادت تأخذها. بعد ذلك فتحت الباب.

نسيت كل ما شعرت به من قلق بشأن فستانها.. فقد رأت أن موري الذي حلق لحيته والذي يرتدي سترة سهرة أصبح شيئاً آخر مجدداً.. لماذا على قلبها البدء بالسباق وكأنه قطار سريع؟ لا وقت لديها لتحلل السبب.. ولكنه كان يتسارع.. سرعان ما أحست بصدمة أقوى من أن تتركها تتكلم.. أحست بعينيه عليها تحدقان إلى شعرها البرّاق ووجنتيها المتوردتين قليلاً، ثم ما لبثتا أن طافتا على قدها الرشيق فوجهها.. أخيراً نظرت عيناه الرماديتان إلى عينيها البنيتين. فسألت ببرود: «هل أنفع؟»

ـ تعرفين أنك تبدين مذهلة.

سألته ببرود مجدداً، وهي ترفع حافظة الوثائق:

ـ هل أجلب هذه معي؟

قال ساخراً: «من غير المجدي أن نذهب بدونها، أليس كذلك؟»

أقفلت سيل الباب وراءها بشدة فتردد الصدى في الممر.. أسفت على فعلتها ولكنها في يوم ما ستضرب هذا الخنزير على

رأسه!

كان بديع حسني قد أرسل سيارة مع سائقها إلى الفندق لنقلهما، فقبل بديع تبعد عشرين دقيقة في السيارة. في هذا الوقت تمكنت سيل من السيطرة على أعصابها.

كانت تحمل حقيبة الوثائق في يدها حين فتح خادم باب منزل فخم كثير الغرف. ثم وصل بديع حسني:

ـ صديقي! آنسة سوفتنغ.. أدخلا لتقابلا زوجتي.

دخل الثلاثة إلى غرفة فخمة حيث كانت امرأة ساحرة أنيقة في الخمسين من عمرها، ترتدي ثياب سهرة سوداء. تقدمت إلى الأمام تقول لهما: «أهلاً بكما في منزلي».

ثم فجأة وصل حسين حسني، وصاح راكضاً:

ـ سيلبا! لقد أمضيت عدة دقائق أصغي ترقباً لقدوم السيارة، مع ذلك لم أسمعها.

سألته بلطف: «كيف حالك حسين؟»

تدخل والده يذكره بحسن الأخلاق:

ـ ألست تتذكر موري يا بني؟

ترك حسين يد سيل، وصافح موري..

ابتسمت زوجة بديع: «أرجو أن تجلسي هنا آنسة سوفتنغ».

ردت سيل الابتسام:

ـ شكراً لك. نادني سيل، فبهذا يناديني الجميع.

تدخل حسين وهو يجلس قربها على الأريكة الفخمة:

ـ لم تقولي لي هذا قط.

علق موري بفظاظة:

ـ إنها لا تقول ذلك لأي كان.

تجاهلته سيل.. وسرعان ما انشغلت في حديث مع أم حسين

التي طلبت مناداتها باسمها الأول «ناديا» وأمضى الجميع وقتاً ممتعاً في غرفة الجلوس، ولكن موري الذي كان يتصرف بشكل متمدن ما فتىء يرمقها بنظرات فولاذية.

لم يكن أحد قادراً على مشاهدة تلك النظرات سوى حسين.. ويبدو أن موري لم يكن لبهتم إن رآه حسين أم لم يره، لكن حسين لم يكن مهتماً بالنظر إلى أحد سواها. ولعل هذا هو سبب نظرات موري المتوترة، ولكنها لا تعرف كيف تتصرف معه.

سألته عندما تحرك بضعة إنشات تجاهها:

ـ هل أعجبتك اليابان؟

وارتدت عنه بضع إنشات..

رد ساهماً: «لم تكوني هناك».

لمحت عبوس موري وتمنت لو رفضت المجيء.

تخلصت من حسين فترة قصيرة وذلك حين دخل الجميع إلى العشاء.. كانت جالسة إلى يمين بديع، وكان حسين في الجهة المقابلة أما موري فإلى يمين ناديا.

قال بديع في أثناء تناول الوجبة الرئيسية:

ـ يوسف فوزي هنا في الأقصر. اقترحت عليه زيارتي في وقت لاحق من هذا المساء.

قال موري: «أظنها فكرة ممتازة».

عرفت سيل أنه يتوقع من المحامي المصري أن يظهر قبل توقيع العقد.. وأنه كان سيدهش لو امتنع عن الظهور.

سأل حسين باهتمام: «أتريدين بعض السلطة؟»

ـ شكراً لك.. لدي ما يكفي.

فيما بعد تلقت الاهتمام نفسه وذلك عندما أنهت طبق حلوى من المشمش المجفف، وخليط من المكسرات والزبيب، عرفت أنه

www.liilas.com

يدعى «قمر الدين» وطبق آخر من المهلبية . .

سألها : «هل استمتعت بالحلوى؟» .

ابتسمت : «كثيراً» .

ـ أتريدين المزيد؟

حينما قالت له بأدب إنها اكتفت رغم روعة الأكل فهمت لماذا لا تستطيع أن تأخذه على محمل الجد، أو أن تأخذ كلام موري عن غرام حسين بها ورغبته في معاشرتها. صحيح أن حسين أكبر منها سناً، ولكنه يبدو صغيراً جداً . . أما موري فذو ثقافة وتجربة . . يا إلهي . . ! ما شأن موري في كل هذا؟

عادوا إلى غرفة الجلوس وكانوا يحتسون القهوة حين أدركت سيل أن لموري بروكس دخل كبير في كل شيء . . وربما هي مفرطة الحساسية بالنسبة لموري لأنهما الانكليزيان الوحيدان في المنزل المصري . . لكنها بكل تأكيد تشعر بذبذبات العدائية تتصاعد منه. وفيما كان يتجاوب مع بديع كانت تتلقى منه نظرات صارمة، لأنها جالسة مجدداً على الأريكة مع حسين . . لكن هذا لم يكن من تدبيرها، لأن حسين هو من تحايل للجلوس هناك فيما كانت أمه تعطي تعليمات ما إلى الخدم. هكذا بدأت تشعر بأن حسين مضجر قليلاً .

والواقع أنها بدأت تحس بالإرهاق من الجهد الذي تبذله في صد اهتماماته، ومن المحافظة في الوقت نفسه على اللياقة لئلا تسيء إلى والديه . . لم تكن لتعترض البتة فيما لو أعلن موري عن رغبته في العودة إلى الفندق، بل الواقع أنها ستكون مستعدة وثائقة إلى الرحيل .

أخذت تزداد أملاً في أن يغادرا قريباً، لكن بعد لحظات دخل خادم وقال بعض كلمات بالعربية، أدركت أن موري فهمها . .

وحفاظاً على الاحترام لها قال بديع بالانكليزية :

ـ يوسف فوزي في مكتبتي . . فهل تنضم إليه موري؟

رد موري بسهولة : «بالتأكيد» .

ألقى نظرة على سيل ثم نهض . خالت لوهلة أن نظراته تعني أن عليها مرافقتهم إلى المكتبة، لكن هذا الأمل خبا عندما شاهد موري حركتها فأوقفها سائلاً بهدوء :

ـ هل العقد معك . . سيل؟

ابتسمت، وانحنت إلى جانب المقعد حيث المحفظة، وتمنت لو لم تبتسم . . فلقد ناداها بسيل لئلا يعرف الآخرون أنها لا تلاقي حظوة في عينيه ذلك المساء .

انحنى إلى ناديا بعدما أخذ المحفظة :

ـ اعذرينا ناديا .

وانسحب هو وبديع من الغرفة .

مع أن زوجة بديع امرأة فاتنة جداً، فقد مرت الساعة التالية ثقيلة بالنسبة لسيل . ولو كانت مع ناديا بمفردهما، لما كان هناك مشكلة . . وتكدرت بسبب وجود حسين الذي ما انفكّ عن التحرش بها رغم صدها إياه ولكنه فهم صدها على ما يبدو تشجيعاً .

اختلست نظرة إلى ساعة حسين فوجدت أن الرجال الثلاثة في المكتبة منذ أكثر من ساعة . .

سألت سيل ناديا :

ـ لقد زرت انكلترا على ما أعتقد؟

ردت ناديا : «عدة مرات» .

وتحدثنا لبعض الوقت عن أماكن مختلفة في بريطانيا الكبرى، ولكن حسيناً الذي فاض به الكيل بسبب تجاهلهما إياه، تدخل . . فاقترح :

ـ ربما تكرمت في مرافقتي لجولة على معالم بريطانيا خلال زيارتي القادمة؟ لكن، في البداية، يجب أن تسمحي لي أن أجول بك في بلدي.

ردت سيل بلباقة: «أمامنا أماكن كثيرة نراها».

عندما ابتسمت والدته بتسامح أمسك كلتا يديها. سمعت أصواتاً تنبىء بأن الاجتماع في المكتبة انتهى.. ولكن حسيناً ظل ممسكاً بيديها بشدة وقال:

ـ يجب أن تسمحي لأريك بلادي سيل.. سأتصل...

وسرعان ما كان موري واقفاً بهيمنة فوقهما. فجأة، أجبر حسين على ترك يديها بدفعه محفظة الوثائق إليها.

وجدت أنها مجرد سياسة لإبقاء شيء في يديها. تمسكت سيل بالمحفظة ثم نظرت بسرعة إلى وجه بديع الذي بدا لها مسروراً ثم نقلت نظرتها إلى موري ولاحظت أنه مسرور مثله، لكن مع علمها أنها على لائحته السوداء لم تعد النظر إليه.

قال بديع مبتسماً ومؤكداً أن كل شيء سار على ما يرام:

ـ يجب أن نحتفل.. وبما أن ديني يمنعني مما هو محرم دعوني أقدم بعض المرطبات الأخرى.

لكن موري رفض العرض بلباقة.. ثم أشار إلى أن الوقت حان لعودتهما إلى الفندق.. مضت نصف ساعة أخرى قبل أن يتركهما بديع يغادران منزله، وتصافح الجميع، ثم تأخرا عشر دقائق أخرى بسبب خروج حسين ليوصل سيل إلى السيارة التي ما لبثت أن انطلقت عائدة بهما إلى الفندق.

شعرت سيل بمزيج من الراحة لابتعادها عن حسين، ومن تكدرها المتزايد بسبب تصرفات موري، وهذا ما جعلها لا ترغب في تهنئته على ما حققه.

تركته يتحدث إلى السائق حين وصلا إلى الفندق، ودخلت بسرعة إلى مكتب الاستقبال..

ـ هل لي بمفتاح غرفتي رجاءً؟

ولأنها ظنت أن من المؤسف ألا تفعل طلبت مفتاح غرفة موري الذي كان متوجهاً إلى مكتب الاستقبال عندما ارتدت. مدت له يدها بالمفتاح دون أن تنفوه بكلمة ووقفت جامدة بشجاعة فيما كانت نظرته المتجهمة تجول عليها وعلى الصورة التي ترسمها بفستانها.

تساءلت عما إذا كان ما زال عند رأيه بأنها مذهلة.. رفع يده ليتناول المفتاح منها.. يبدو أنه لا يقول كلمة «أرجوك» فقط بل لا يستخدم كلمة «شكراً» كذلك.. فجأة أحست أنها تود البكاء، فقالت «عمت مساء!» بسرعة وتوجهت نحو المصعد.

ما ردَّ على تحية المساء وما لحق بها، إنما لا بأس في هذا بالنسبة لها.. واضطرت لابتلاع ريقها بصعوبة.. في المصعد ضربت الرقم ستة، وهي واثقة أن الأمر لا يهمها.

كانت تغادر المصعد عندما أدركت صدمة كادت تهوي بها أرضاً. إنها تهتم! بل إنها تهتم كثيراً.. كانت تفكر غاضبة عما دهى ذلك الرجل ليكون جهم الوجه، بدل التهلل فرحاً بسبب ما أنجزه ثم توقفت عن التفكير.

سرعان ما خفق قلبها خفقة جبارة.. فعرفت وبوضوح تام، أنها لا تريد لهذا العمل أن ينتهي! ثم عرفت فجأة بالضبط ما دهاها هي. إنها تحبه!

آه! يا الله! ويا لهذا الجنون المطبق!

* * *

٧ ـ سعادة قصيرة العمر

طلع فجر الأحد وسيل في فراشها مستيقظة، تعرف أنها فعلت ما لا يجب أن تفكر فيه. لقد فعلت ما حذرها منه موري عند لقائهما الأول.. لقد وقعت في حبه.

تركت السرير واستحمت، ثم ارتدت سروالاً خفيفاً بلون الليمون الشاحب وتي شيرت.. ثم، لتفعل شيئاً رتبت السرير، ولكي تتهرب من الجدران الأربعة ومع حرصها على عدم إصدار صوت في الممر، تركت غرفتها.

لم تكن تحس بالجوع ولكنها كانت مسرورة لأنها وجدت مطعم الفندق فاتحاً أبوابه لتقديم الفطور.

حيّاها نادل مبتسماً:

ـ صباح الخير مدام.

ـ صباح الخير.

تقدمت إلى منصة الطعام، تخدم نفسها بنفسها، فتناولت كوباً من عصير الفاكهة، ثم جلست في أقرب مكان، وفكرت في أن الأمور لا تبدو هنا أفضل مما كانت في غرفتها.

تقدم النادل منها حاملاً إبريق قهوة.

ـ قهوة سيدتي؟

ـ شكراً لك.

لكن القهوة بردت وهي تشرب العصير وتفكر في موري بروكس. ما أشد ما كنت غبية إذ وقعت في حبه!.. لا شك أن حبها له بدأ منذ وقت طويل ولكنها لم تعرف به حتى الآن، الآن تمكنت من فهم الدلائل التي كانت موجودة والتي كانت عمياء عن رؤيتها.

شعرت بالتوتر خشية أن تكون قد فضحت نفسها أمامه.. ومرت بعذاب شديد، واعترفت أنها اكتفت من كل هذا. نقلت أفكارها إلى حسين حسني.. فشعرت بأنها غير قادرة على تحمل صحبته اليوم.. لكنها عرفت أنه سيتصل بها هاتفياً ما إن تصل إلى غرفتها.

هذا إذا عادت إلى غرفتها.. أحست بروح التمرد.. لماذا تعود إلى غرفتها؟ إنه يوم الأحد.

بعد دقائق، تركت المطعم، واستقلت المصعد إلى غرفتها.. لم تكن تعرف ما هي خطط موري لهذا اليوم، لكنه المح إلى أنهما سيمضيان بضعة أيام هنا، لذا لا يمكن أن يفكر بالعودة إلى الاسكندرية ذلك اليوم.

عندما مرت بغرفته أحست بأنها تريد أن تراه فكادت تقرع بابه.. ثم أصبح إحساسها رعباً لأنها أدركت أن مشاعرها نحوه كادت تجرح كبرياءها، فسارعت إلى غرفتها تدرك عمق تلك المشاعر وقوتها.. ماذا لو أدرك من تعابير وجهها ما تحس به نحوه؟

بعد عشر ثوانٍ سيطرت على نفسها بحزم، والتقطت الهاتف، وطلبت رقم غرفته. وفيما كانت تنتظر، نظرت إلى ساعتها فوجدتها السابعة والنصف.. أكان يوم أحد أم غير أحد لا تجد ما يجعلها تترك من يؤرقها ليلاً بدون أن تزعجه.

ـ أيوه؟

تعرف الصوت الذي سمعته يسأل بالعربية مهما كانت لغته،

وقالت ببرود:

ـ أنا سيليا سوفتنغ.. كنت أتساءل عن الخطط التي وضعتها هذا اليوم؟

كان الصمت هو الرد للحظات ثم:

ـ لماذا؟

إنها تحبه، ولكنها في الوقت ذاته تكره عدوانيته. سحبت نفساً عميقاً، ثم ردت ببرود قدر المستطاع:

ـ إن لم نكن عائدين اليوم إلى الاسكندرية وإن كنت لا تحتاجني أطلب يوم عطلة.

كانت تتحدث بهدوء وأدب..

كان رده فظاً وسريعاً:

ـ ولماذا؟

ـ لأنني في مصر منذ أربعة أسابيع، ولم أر غير المطار والمكتب.

ـ شاهدي ما تريدين من مناظر.. أنا لا أحتاج إليك!

وأقفل السماعة، فعلقت أنفاسها في حنجرتها.

حاولت تعزية نفسها بأنه في الواقع بحاجة إلى براعتها في حقل السكرتارية، ولكنها عادت ففكرت بأنه تناسبه مطلق سكرتيرة.. انظري كيف استبدل ديان ماكفرسون بسهولة.

اللعنة عليه! ترفض أن يقلّل من قيمتها هكذا.. كانت على وشك الخروج من غرفتها حين لمحت فجأة محفظة الوثائق.. فشهقت: «يا الله!» تقدمت إليها ورفعتها، لتواجه معركة صامتة. أتقرع الباب عليه لتعطيه إياها؟ لكن لماذا تفعل هذا؟ لقد دفعها إليها دفعاً ليلة أمس..

حُلّت المسألة حالما سمعته يغادر غرفته، ويقفل بابه.. خالت

في لحظة ذعر أنه قادم ليراها فخفق قلبها. لكنها سمعت وقع قدميه إشارة إلى توجهه نحو الجهة الأخرى.

حسناً، لن تنتظره حتى يعود من المطعم. فتحت المحفظة وألقت نظرة على الوثائق، متوقعة أن ترى نسخة واحدة بعد توقيع العقد.. ولكنها كادت تدهش كثيراً لأنها رأت النسختين هناك. كانت أوراقها ودفتر ملاحظتها وكل شيء على حاله، ونسخة من العقد موقعة من الرجلين.

أقفلت المحفظة مجدداً وعرفت أنها لن تتركها هناك. فكرت أن لا فرق بين غرفتها وغرفته.. لذا من الأفضل أن تخبئها في غرفتها بدل انتظاره حتى يعود ويأخذها.

بعد خمس دقائق تركت غرفتها وسارت نحو المصعد. وهي تعرف أن المحفظة التي لفتها في فستانها الذي ارتدته ليل أمس ثم وضعته في حقيبتها آمنة قدر الإمكان.

نزلت في المصعد تتساءل عما إذا كانت مسؤولية الحفاظ على سرية تلك الوثائق تعتبر إلزامية لها.. كانت واثقة أن موري لا يهتم كثيراً بهذا، لأنه الآن مشغول بتناول طعامه. خرجت من المصعد وما إن سارت خمسة باردات في البهو الواسع، حتى وجدت موري واقفاً في مكتب الاستقبال، يطرح بعض الأسئلة.

أحست باضطراب داخلي، وكان أمامها مجرد ثانية لتقرر ما إذا كانت مستعدة للمرور به أم لا، أرادت تسليم مفتاح غرفتها، ولكنه كان واقفاً في الموقع الذي كانت تسير إليه. فترددت.. في تلك اللحظة، أنهى أسئلته وارتدّ فرآها.. أحست بالجمود وحاولت السيطرة على قسمات وجهها وهو يتقدم نحوها.

ماذا توقعت منه أن يقول؟ لكنه نظر إلى وجهها وقال بلطف: «خارجة لمشاهدة الأقصر؟»

ـ أجل.

ـ ومن أين تبدئين؟

ـ أنا.. لست متأكدة حتى الآن..

تسارعت خفقات قلبها كثيراً بعدما ابتسم لها.

ـ إذن.. من الأفضل أن أرافقك. هذا إن لم يكن معك رفيق؟

هزت رأسها فابتسم مجدداً، ولم يعد هناك سبيل لمنع ابتسامتها التي بدأت في مكان ما من أعماقها، من أن تظهر على وجهها.

سألها:

ـ لماذا ننتظر؟

كان صعباً على سيل أن تصدق بأن ما يحصل يحصل فعلاً. كانت جالسة قرب موري في التاكسي المتجه نحو وادي الملوك.. بعد دقائق استعادت وعيها قليلاً ووجدت أن الصدفة هي التي قررت أن تقضي بعض الوقت معه.. لا مجال أبداً لإشاحة ظهرها لهذه المكافأة غير المتوقعة، لذا ستستمتع بكل لحظة تقضيها معه. صحيح أن عندها ذكريات سعيدة معه ولكنها ببساطة ترغب في المزيد.

قالت عندما توقف سائق التاكسي في موقف للسيارات:

ـ يبدو المكان مزدحماً!

رد موري: «ستشتد حرارة الشمس بشكل لا يطاق بعد قليل».

أدركت أن الجميع يسعى إلى التجول في تلك التلال المرتفعة الغائصة في أشعة الشمس باكراً، قبل أن تصل حرارة الشمس ذروتها. أعطى موري السائق بضع تعليمات بالعربية، ورافقها بعيداً.

إنها الآن لا تهتم بشيء، فها هي في وادي الملوك، مع الملك، مع موري بروكس، الرجل الذي تحبه.. وهي أكثر سعادة. كانا

سائرين في منطقة يستدعي فيها بائعو التذكارات كل من تقع عليه عيونهم ليشتري شيئاً.

واشتريا شيئاً قبل انتهاء سلسلة بائعي التذكارات..

تمتم: «مهلك لحظة».

أمسكها بذراعها واقتادها إلى مصري مبتسم بمرح يبيع القبعات.. وقال وهو يمسك قبعة قطنية بيضاء:

ـ هذه.. أظن.

وقبل أن تعرف شيئاً، انطلق يساوم بمرح البائع قبل أن ينقده الثمن ثم عاد ووضعها على رأسها، فارتفعت يداها إلى رأسها تسويها:

ـ أتبدو مناسبة؟

وجدت أنها تعاني صعوبة في التنفس فقد جعلته بقولها هذا يتأملها بعينين رماديتين جادتين.

علق وهو لا يبتسم:

ـ لقد سبق أن قيل من قبل إنك جميلة.. بالتأكيد.

استحوذت عليها الإثارة لأنه يظنها جميلة، ولكنها لا تريده أن يكون جاداً.. ليس الآن، ليس في هذا الوقت وهي تختزن الذكريات السعيدة معه..

ردت مبتسمة: «بالتأكيد».

ابتسم برد ابتسامتها، ففاضت كأس سعادتها. كان الصعود إلى مدفن الملوك شديد الانحدار.. ولكن لم يكن أحد على عجلة من أمره. كانت الطرقات مشقوقة على جوانب التلال الصخرية التي لا ينمو فيها أي عشب.

التلال ضخمة واسعة وكذلك المقابر المحفورة في الصخر. سألت سيل وهما يقفان في صف صغير، بانتظار النزول إلى مدفن

رمسيس السادس.

ـ هل سبق أن جئت إلى هنا؟

رد بلطف: «يستحق المكان من المرء زيارة ثانية وثالثة».

وجاء دورهما لينزلا الدرج العميق، حيث الرسوم الرائعة المرسومة على الجدران التي يزيد عمرها عن ثلاثة آلاف سنة، وكان عليهما الوقوف في الصف مرة أخرى، لينزلا إلى مدفن أصغر حجماً، هو مدفن توت عنخ آمون.. وكان فيه آثار رائعة. ومع أن معظم القطع الفنية الأثرية نقلت إلى متحف القاهرة، فقد كان التاووس الذهبي الذي كان يحتوي جدث مومياء الملك الشاب، يقطع الأنفاس من روعته.

أغمضت سيل عينيها إزاء نور الشمس الساطع بعد خروجها من المدفن.. ولم يكن لديها اعتراض حين قال:

ـ ضعي نظارتك الشمسية.

ولأول مرة استمتعت بأن يأمرها.

اشتدت حرارة النهار كثيراً بحيث لم يبقيا في وادي الملوك أكثر مما يلزم لزيارة بضع مدافن معروفة. ألقى نظرة إلى بشرتها الشقراء ثم اقترح أن يعودا من حيث أتيا.

ـ سنقف لنروي ظمأنا في مكان أقل ازدحاماً.

ردت وقلبها يخفق سعادة: «عظيم».

كان سائق السيارة منتظراً. لمّا رآهما ترك السائقين اللذين كان يتحدث إليهما بسعادة، وجاء مهرولاً إلى سيارته.

ربما اكتشافها لحبها هو الذي جعل من وقتها مع موري غالياً على قلبها.. ولكن بدا أن ذلك الوقت يمر بسرعة.. فسرعان ما كانت قاعدة قربه في غرفة حديقة مفتوحة في أحد الفنادق ترتشف كوباً من الليموناضة الباردة. أسعدها أن تجد موري غير مستعجل،

وكأن كل الوقت في العالم أمامه. كانت شديدة اللهفة لتعرف المزيد عنه ولكنها هي من تلقت الأسئلة وردت عليها.

ـ هل تعيشين في منزل ذويك؟

هزت رأسها نفياً:

ـ يعيش أهلي في «ايستبورن» ولقد تركت منزلهما منذ بضع سنوات.

ـ ألديك شقة؟

ـ شقة صغيرة. اشتريتها بالتقسيط.

أرادت يائسة أن تسأله عن أهله، وعما إذا كان لديه شقة، منزل، أو مهما يكن. لكنها فجأة أحست بأعصابها تتوتر.. ماذا لو ظنها تتعمد إطالة مدة شرب الليموناضة لمجرد محادثته؟ بسبب هذه الفكرة التي تهدد كبرياءها، أنهت الليموناضة ثم وكأنها تسمع الموسيقى في أذنيها سمعته يسأل بلطف:

ـ أين تريدين الذهاب الآن؟

ترددت، تتساءل عما إذا كان بالإمكان أخذ المزيد من وقته. لكنها تحبه، ولا يمكنها أن ترفض ما تقدمه لها العناية الإلهية. ربما كانت جشعة، ولكنها في صحبته، صحبته اللطيفة، منذ ساعتين تقريباً وهي تريد المزيد..

قالت له:

ـ لم أزر سوقاً شعبية حتى الآن.. أعني سوقاً حقيقية لا سوقاً سياحية.

ابتسم: «أعرف ما تعنين».

ولبرهن عن هذا، كان التاكسي ينزلهما إلى مكان لم ترَ فيه أثر لأي أوروبي.. وكالبخيل الذي يكنز مالاً راحت سيل تكنز الذكريات خلف الذكريات.. رجل يرتدي جلباباً، امرأة متشحة

بالثياب السوداء من رأسها حتى أخمص قدميها.. منصات بيع البرتقال والموز الأخضر. رأت شوارع ضيقة مغبرة، وأخرى رملية. وكان هناك منظر اللحم المكشوف على طاولة جزار.. لكن كل هذا كان يضيف إلى الجو المذهل كله جمالاً بالنسبة لها..

ثم تتويجاً لسعادتها جاءت أجمل تجربة.. فقد وصلا إلى جزء من السوق حيث علق سجاد رائع من مختلف الألوان والأحجام.

قالت لموري:

ـ تكاد تلك السجادة تصرخ بي مطالبة بالذهاب إلى منزلي من أجل غرفة الطعام.

وقبل أن تعرف ما يجري، وضع يده تحت مرفقها، واقتادها إلى داخل المتجر، وقبل أن تلاحظ وجود رفوف ورفوف من الحرير والقطن، كان في يد كل منهما كوب شاي، وعلى الأرض السجادة التي أعجبتها.

كانت السجادة أكبر حجماً مما ظنت. اعترفت بشعور الاندفاع بسبب حماسة التاجر، وأحست بالسرور لوجود موري المهدىء حين سألها:

ـ أما زالت تصرخ مطالبة بالذهاب إلى منزلك؟

سحبت نفساً عميقاً: «إنها جميلة».

رفعت عينين بنيتين مخمليتين إليه، فوجدته يحدق إلى عينيها بصمت وظنت أنها أحست بتوتر مفاجىء في الجو، ثم انتقل التوتر إليها وخشية أن يلاحظ اهتمامها به صوبت اهتمامها إلى السجادة وأضافت:

ـ جميلة حقاً.. ولكنني لا أستطيع شراءها.

تبع هذا لحظات صمت طويلة، وظنت أن موري لن يعلق. لكن عندما ظنت أنهما سيشكران بائع السجاد على الشاي ويرحلان..

قال موري:

ـ أظن أن بإمكانك الحصول عليها بستين جنيهاً إنكليزياً.

ـ حقاً؟ لكن كيف أنقلها إلى البلاد؟

ـ دعي الأمر لي.. سأعلمك خدعة.

وكم أحبته.. بعد الكثير من الأخذ والرد مع بائع السجاد ومساعده، ومع كل من وجد لذة في النقاش، اشترت السجادة التي لم يكن في نيتها شراؤها، ثم أخذها موري إلى مكتب سفريات لشحن السجادة إلى انكلترا. وكانت ما تزال تشعر بالحماس عندما اقترح عليها الغداء.

كانت جالسة إلى الطاولة عندما أدركت لماذا كان لطيفاً معها طوال اليوم. بعد توقيع ذلك العقد اطمأن باله على العمل وبات بإمكانه اليوم الاسترخاء والاستمتاع بالراحة.

جعلتها هذه الفكرة حساسة تجاهه وجعلتها ترغب في أن يستمتع بيومه كما تستمتع هي به. هكذا قررت تنحية كل تحفظ من خجل وكبرياء جانباً، وتحدثت إليه بود طوال الغداء. اكتشفت بدون أن تعرف كيف أثير الموضوع أنها تخبره عن شوقها لرؤية الأهرامات.

فسألها بدهشة: «ألم تري الأهرامات حتى الآن؟»

قالت مبتسمة: «لم أزر القاهرة غير مرتين.. ورئيسي مستعبد و...»

قاطعها وعيناه مثبتتان على حنايا وجهها الجميل:

ـ لا تقولي المزيد.. إن سمحت لي كلمته لأرى إن كان بالامكان ترتيب زيارة إلى الأهرامات في يوم قريب.

رأت سيل الضحكة تتراقص في عينيه، وازداد حبها له عمقاً. ما إن أنهت وجبتها حتى بدأت تفكر في أن يومها معه قد

انتهى . . لم تستطع أن تصدق حظها الطيب حين بدا لها أن هذا غير صحيح .

إذ سألها موري : «هل اكتفيت؟»

لم تكن واثقة مما إذا كان يعني من الطعام أم من التعرف إلى معالم المدينة . .

ردت بهدوء : «كنت في غاية اللطف» .

ـ وهذا يعني أنك راغبة في رؤية المزيد ولكنك خائفة من التطفل على وقتي .

تمتمت : «شيء من هذا القبيل» .

وكم أحبته حين أجاب :

ـ بعد الطريقة التي دفعتك بها إلى العمل ، أظن أن وضع نفسي في خدمتك مدة يوم كامل ، هو أقل ما أفعله .

كانا في الطريق لزيارة معبد الكرنك عندما تساءلت عما إذا أعجب بها في هذه الفترة . . يجب أن يُعجب بها . . أليس كذلك؟

أرادت أن تبحث عن أي دليل يشير إلى إعجاب موري بها . . ولكن بما أنه من غير المحتمل إطلاقاً أن يقول لها شيئاً ، ستقنع بما لديها وتقوم بما تستطيع لتتأكد من أن لا شيء سيفسد هذا اليوم الرائع .

كان معبد الكرنك ضخماً ومؤثراً ، كان المكان يعجّ بالسياح ، وفيما كانت سائرة مع موري في ممر تبرز منه رؤوس صخرية على كلا الجانبين أحست بالروعة والرهبة . . هناك الكثير ليراه المرء . . يحوي المعبد الواسع قاعة يرتكز سقفها على عمدان ويقال إنها أكبر قاعة في أي معبد أثري في العالم . . في يوم ما كانت المركز الديني لطيبة وفيها بنى الفراعنة نصبهم وتماثيلهم .

قال يمازحها وقد ابتعدا عن المعبد :

ـ سترهقين نفسك إن استمريت على هذا المنوال . . ما رأيك لو نعود إلى فندقنا ساعة أو ساعتين ، ثم نعود إلى هنا لنشاهد برنامج «الصوت والضوء» الليلة؟

حاولت ألا تظهر تمسكها باقتراحه :

ـ يبدو لي هذا رائعاً .

ازدادت إثارتها حين استأجر مركبة يقودها جواد اقتادتهما إلى الفندق . . بدا أنه لا يطيق فراقها ولكنها عرفت أنها تخدع نفسها بهذه الفكرة . اقترح أن يتشاركا إبريق شاي في أحد صالونات الفندق قبل الذهاب إلى غرفتيهما .

ما إن حل ذلك الوقت حتى كان المغرب قد أزف .

قال وهما يفترقان : «أراك بعد ساعة» .

ذهبت إلى غرفتها وأقفلت الباب عليها ولكنها لم تستطع أن تصدق أنها أمضت نهاراً كاملاً مع موري بدون كلمة فظة أو غاضبة .

استحمت بسرعة وتساءلت عما إذا كان حبها الذي اكتشفته حديثاً هو الذي جعلها لا تشعر بانزعاج . . أم عدم رميه إياها بأي انتقاد لاذع اليوم؟ ولكن ما أروع أن تكون مع موري في مزاجه هذا .

قدر لمشاعرها أن تصاب بنكبة بعد هذا الوقت بقليل . . ارتدت سروالاً وكنزة خفيفة ثم قررت تغييرهما لأن موري قال إنهما سيتناولان العشاء بعد عرض الصوت والنور . وفيما كانت تسرّح شعرها نظرت بدون سبب يذكر إلى ناحية الباب . . فلاحظت ما كانت مشغولة عنه بسبب أفكارها الصاخبة . .

شخص ما . . في وقت ما . . دس ورقة تحت الباب .

ذهبت بسرعة لتلتقط الرسالة التي هي من حسين . . غاصت معنوياتها وهي تقرأ أنه حاول الاتصال بها طوال ذلك اليوم . . ولكن ألم تدرك أنه سيتصل بها؟ أتراه الآن كما قال ينتظر قرب الهاتف

بانتظار اتصالها؟

تقدمت إلى الهاتف.. مع أنها غير راغبة في الاتصال بحسين، ولكنها لا تريد منه أن يقضي المزيد من الوقت منتظراً قرب الهاتف. نعم لا تصدق أنه سينتظر.. لكن.. توقفت عن التفكير حالما غادر موري غرفته. أسرعت إلى طاولة الزينة، ودست رسالة حسين في الدرج، وفي الوقت نفسه رفعت المشط لتكمل ترتيب شعرها.

تعالى صوت الجرس قرب بابها، فتقدمت لترد.. كان موري قد غير ثيابه كذلك، فخفق قلبها بجنون لأنه راح ينظر إلى وجهها لثوانٍ طويلة.. ثم ابتسم لها ابتسامة جذابة تكسر القلوب..

قال: «ستحتاجين إلى سترة».

ـ لن أتأخر ثانية.

وعادت إلى غرفتها لتخرج من خزانتها سترة خفيفة واقية من الهواء.

لم يكن موري مخطئاً عندما قال إنها ستحتاج إلى سترة، فما إن عادا إلى معبد الكرنك حتى هبَّت ما يشبه عاصفة رملية. وكانت مسرورة بسترتها الواقية من الهواء حين ثبت لها أن برنامج الصوت والضوء ليس كأي عرض مماثل.. في البداية وقف الجميع، يصدهم حبل طويل، ثم أرخي الحبل، وسمح لهم بالتحرك إلى الأمام نحو الممر المحفوف بالرؤوس المحفورة على جانبيه.. ثم ساروا بين عواميد ضخمة، محفور عليها قصص الآلهة والملوك.. ووصلوا إلى منطقة أخرى محاطة بالحبال.. أخذت أصوات أنثوية، ثم ذكرية، عبر مكبرات للصوت تروي قصص طيبة العتيقة. أما الأنوار فتلاعبت على الجدران وفوق التماثيل.

كانت سيل مسحورة حين أخفض ذلك الحبل أيضاً، وأمسك موري بذراعها، لئلا يفترقا في زحمة الناس المندفعين إلى الأمام..

هبت ريح عاصفة طيَّرت شعرها، وأدخلت الرمال إلى عينيها. انحنى موري يسأل:

ـ هل أحضرت قبعتك معك؟

ـ قبعة الشمس؟

ـ هذا ليس وقت الغرور.

في الظلام، كانت واثقة أنه يبتسم. فابتسمت وهي تدس يدها في حقيبتها الكبيرة، إنها في وقت ما لم تنتبه لروحه المرحة أبداً. ما هي إلا هنيهة حتى أخرجت القبعة التي اشتراها لها ووضعتها على رأسها.

ظنت أنهما سارا حوالى الساعة، ومع أنها أحست بالضيق من الرمال لم تشأ أن يفوتها شيء.. ولا شك أن موري كان يستمتع بالعرض أيضاً.. فهو لم يتقدم بأي اقتراح للمغادرة.

انتهى عرض الصوت والضوء عند البحيرة المقدسة التي كان في مواجهتها صفوف متراصة من المقاعد. أمضت سيل أجمل نصف ساعة من الراحة المباركة بقرب موري، فكان أن فاتها الشرح النهائي وهي تستمتع بقربه منها في الظلام، حيث لا يمكنه أن يرى الحقيقة في عينيها..

سألها ما إن انتهى العرض: «هل استمتعت؟»

قالت صادقة:

ـ ما كنت لأفوته مقابل أي شيء.. وماذا عنك؟

ـ وماذا يهم قليل من الرمال بين صديقين؟

آه موري.. كم أحبك!

ضحكت: «حقاً! هذا صحيح».

ـ أريد أن أستحم قبل تناول العشاء فماذا عنك؟

توقف التاكسي الذي أقلهما أمامهما. كانت سيل تبتسم،

وقالت مبتسمة وهي تدخل إلى التاكسي:

ـ إنه أفضل اقتراح سمعته اليوم.

لم يكن يومها معه قد انتهى فما إن يعودا إلى الفندق ليغسلا الرمل عنهما حتى يلتقيا مرة أخرى لتناول الطعام.

عندما أصبحا قرب غرفتيهما سألته:

ـ كم من الوقت؟ نصف ساعة؟

ـ لديك عقل امرأة.. فلتكن عشرون دقيقة.

كانت سيل تضحك عندما دخلت إلى غرفتها حيث مشطت الرمل من شعرها ثم نزعت ثيابها ودخلت إلى الحمام. كم تحبه!

كانت خارجة من الحمام عندما أدركت أنها أمضت وقتاً أطول مما كانت تنوي، ثم سمعت جرس بابها.

جففت بشرتها ورمت المنشفة إلى الحمام ثم تناولت روبها. أكانت مثل معظم النساء أم لا، سوف تتوسل إلى موري من أجل مزيد من الوقت.

قالت وهي تفتح الباب: «لست..»

ولكن صوتها تلاشى.. فلم يكن الطارق موري، بل حسين حسني الذي بدا مستاءاً جداً.. فجأة أحست بقدوم المتاعب..

فقالت وهي تحاول الابتعاد:

ـ حسين..

سألها غاضباً: «لماذا لم تتصلي بي؟»

ـ لم يكن لدي الوقت.

ـ تلقيت رسالتي، لكن لم يكن لديك الوقت.. ألم أخبرك بالرسالة أنني منتظر قرب الهاتف؟

ـ أجل.. لكن..

حاولت تهدئته ولكنها رأت أن الأمور تزداد سوءاً إذ صاح وهي

تتراجع خطوة إلى الوراء:

ـ انتظرت طوال اليوم اتصالك.

أصبحا معاً داخل الغرفة وكان حسين يفقد سيطرته على نفسه.

ـ ألا تعرفين ما أكنه لك في قلبي؟

وقبل أن تستطيع منعه تقدم منها بسرعة محاولاً معانقتها. حاولت بذعر ويأس منعه فثمة رجل واحد ترغب في معانقته لذا تعتبر أي عناق آخر من قبل أي إنسان اعتداءً عليها. دفعته بكل قوتها لتتخلص من دائرة ذراعيه. ثم سمعت هديراً عظيماً.. ولم يكن ذلك الصوت خارجاً من حسين.. كان موري هناك فجأة، ووجدت في لمح البصر أنها طليقة.

نعم لم يكن ليتركها طوعاً ولكن حين أمسك موري به، لم يكن لديه خيار آخر. لقد أثبت موري ظنها بقوته.. إذ أبعد حسين عنها وكأنه لا يزن شيئاً.

انفجر حسين بسيل من الكلام بالعربية وسرعان ما رفع موري قبضته وطرحه أرضاً.. كان حسين جالساً أرضاً عندما دنا منه وجره إلى الخارج.

رأت ما حدث بعينين مذعورتين، ولكنها لم تكن تدري ما تفعل أولاً: أتذهب لتتفقد حال حسين، أم تشكر موري على تدخله في الوقت المناسب؟

اتخذ موري القرار نيابة عنها إذ صفق الباب في وجه حسين، وارتدّ إليها.. لكن حين فتحت فمها لتشكره، ارتجفت ذلك أنها رأته في مزاج شرس. كانت نظرة واحدة إلى وجهه الغاضب كافية لتقول لها بأنه غاضب منها أضعافاً مضاعفة وعرفت أن من الأفضل ألا تقول شيئاً.

* * *

٨ ـ عقلها أم قلبها!

حدقت سيل بذهول إلى تعابير وجه موري العدائية، فغاصت معنوياتها إلى الحضيض، كيف أملت أو فكرت في ألا تراه هكذا معها مرة أخرى.. كأنما لم يتبادلا كلمة ود واحدة طوال ذلك النهار الرائع.. كان واقفاً ينظر إليها وشظايا الكراهية تتطاير من عينيه.

ارتدّ إليها فإذا نبرة صوته الجافة تؤكد لها أن روعة ذلك اليوم كانت من جانب واحد:

ـ لقد حذرتك!

يا الله.. أكانت في نعيم المغفلين!

أضاف ساخراً: «قلت لك إنه يلهث وراءك لتشاطره الفراش ومع ذلك دأبت على تشجيعه!»

لقد جُرحت في الصميم، لكنها ليست ممسحة أرجل لأحد فردت بحدة:

ـ لم أشجعه! كل ما...

صاح يقاطعها:

ـ بل شجعته كما تشجعين أي رجل يقترب منك! أنت...

انفجرت في وجهه:

ـ هذا إجحاف مطلق! أنا...

ـ صحيح؟ أهو إجحاف! طوال هذا اليوم وأنت تعطيني الضوء

الأخضر.. مثلاً!

شهقت سيل، وكادت تدافع عن نفسها حين تقدم إليها وفكه مشدود بقسوة.

قالت: «لم أفعل شيئاً من هذا! وإن تصورت للحظة أنني كنت أعطيك قليلاً من الضوء الأخضر الشاحب فاعلم أنك ذو مخيلة خادعة!»

صاح: «وهل كنت أتصور؟ سنرى!»

وما هي إلا لحظة حتى كانت بين ذراعيه، يقرب رأسه منها..

حاولت دفعه عنها:

ـ لا!

ولكنه كان أقوى منها.

ـ آه.. بلى.

شدها إليه أكثر فأكثر، وكان يزداد غضباً كلما ازدادت مقاومة..

قال لها بفظاظة: «تابعي هكذا حلوتي.. فلست بحاجة إلى مزيد من التشجيع!»

أدركت أنها بدل أن تريه عدم رغبتها في عناقه الخشن، كانت تلهب مشاعره.. فتوقفت عن المقاومة. ما إن لاحظ أنها توقفت عن المقاومة حتى تلاشى بعض من عنف الغضب، وأحست بذراعيه ألطف حولها. فجأة، وجدت أن من المستحيل أن تقف بسلبية بين ذراعيه، فاستندت إليه فجأة.

توقف الزمن عن الدوران وهو يعانقها ويمرر يديه في شعرها. أرادت أن تبقى بين ذراعيه وكأن هذا هو الشيء المهم الوحيد في الوجود.. ارتفعت ذراعاها لتلتفا حوله، وتسللت أصابعها إلى شعره الذي ما يزال رطباً بعد الحمام..

ـ آه! موري.

سرى حبه في كيانها كله حتى كادت تصرخ باسمه مراراً ومراراً.. ثم أمرها جزء منها بالابتعاد عنه. ولكنها فجأة أصبحت ضمن حلقة نارية من المشاعر.. ولم يعد هناك ما أو من هو مهم غيره.

ولكن الخجل هاجمها فجأة من حيث لا تدري وشعرت بالخجل من الاعتراف بما تشعر به.

عادت تلك المواقع الخفية التي تمسكت بها بعد لحظات حين حرك رأسه إلى الوراء وكأنه يريد إشباع ناظريه منها.

شهقت مرتجفة مصدومة:

ـ أنا...

تحررت من خجلها، فحاولت الاعتذار.. ولكن لم يكن لاعتذارها ضرورة، لأن موري تسمّر فجأة، فنظرت إلى وجهه.. كأنه تذكر فجأة كم هو شرس معها. ثم أمام حيرتها الكاملة، تركها.. وعاد إليه غضبه ثم قال بسخرية:

ـ لملمي شتات نفسك!

جلست سيل بوقار ولكنها كانت تعيش في أرض الخيال.

وهي لا تزال في أرض الخيال، وتحتاج إلى الإرشاد بدون أدنى شك إذ سألت:

ـ ماذا.. ماذا فعلت؟

ـ فعلت؟ لقد فعلت الكثير! شكراً لك ولتصرفاتك الشاذة، أفسدت ما استغرقني عدة أشهر لأنجزه!

شهقت: «أنا..»

ولم تستطع تصديق ما تسمع.. مع أنها أدركت أنه يشير إلى حسين حسني الذي عاد بلا شك إلى منزله ليشكو إلى أبيه فكه

المتورم.. هبت في لمح البصر وتمسكت بما تبقى لها من كبرياء لتقول:

ـ لست من ضرب حسين حسني..

صاح يقاطعها بصوت خدش أذنيها:

ـ لا.. لقد اكتفيت بإغوائه، حتى جاء إلى غرفة نومك.

استوعبت ما قاله ثم سمعته يردف:

ـ حسناً.. لدي أخبار لك.. آنسة سوفتنغ.. لا تنفذ مؤسسة بيكون للنفط أعمالها بهذه الطريقة.

رأت نبضاً ينفض بشدة في صدغه، لكنها لم تكن مستعدة لصدمة قوله:

ـ اعتبري أنك لم تعودي موظفة في الشركة!

كانت تحدق إليه فاغرة فاها وهو ينسحب.. قبل أن يفتح الباب كان الغضب يطلق عقال لسانها من الصدمة التي عقدته. ربما كانت بحاجة إلى هذه الصدمة لتثوب إلى رشدها.

صاحت بصوت حاد يزيد من غضبها أنه طردها من العمل كما فعل بديان ماكفرسون:

ـ لا يمكنك طردي من العمل لأنني أنا التي سأستقيل.. يمكنك الاحتفاظ بوظيفتك.

تلاشى صوتها لأنها أدركت أنها تتحدث إلى الفراغ.. فقد خرج وصفق الباب وراءه.

كيف يجرؤ؟ ذلك الوغد الشيطان! من يظن نفسه؟ كيف يقول لها إنها مطرودة من العمل؟ كيف لرجل أن يضمها بين ذراعيه في لحظة كما فعل، ثم يقول لها في اللحظة التالية إنها مطرودة من العمل؟

ظلت مدة خمس دقائق مشتتة الفكر، ثم تحركت فجأة.. في

وقت لا يذكر استجمعت كرامتها بقوة، وأخذت ترمي أغراضها في الحقيبة استعداداً لمغادرة المكان.

سألها سائق سيارة الأجرة بعد لحظات:

ـ تاكسي؟

أعطته حقيبتها: «إلى المطار».

كانت في ذروة غضبها حين أعطاها السائق حقيبتها مجدداً في مطار الأقصر.. من يظن موري بروكس نفسه؟ وتقدمت لتسأل عن أول رحلة إلى الاسكندرية.

كانت رحلة الاسكندرية قد ألغيت، والطائرة التالية تقوم برحلتها مؤخرة إلى القاهرة.. عرفت أن العاصفة الرملية هي السبب في هذا.. ولكنها أحست فجأة أن من المهم مغادرة الأقصر في أسرع وقت ممكن، فكان أن حجزت مقعداً إلى القاهرة.

انطلقت الطائرة وهي على متنها قبل أن تفكر بأنها لا تفكر بطريقة منطقية. ثم فجأة تذكرت أن أغراضها الباقية ما تزال في شقة الاسكندرية.

بعد ثوان أخرى عانت لحظات تمرد. فجأة وجدت أن لا بأس في بقاء ملابسها وممتلكاتها الأخرى في الاسكندرية.. لأنها راجعة إلى بلادها إلى انكلترا.

ظلت على عزمها بعدم الذهاب إلى الاسكندرية لأخذ ما تملكه من الشقة، ولكن فترة تمردها لم تدم طويلاً. حاولت جاهدة البقاء غاضبة بالتأكيد على نفسها أن موري بروكس خنزير حقاً.. فأين كانت دبلوماسيته الشهيرة حين انقض ضرباً على حسين حسني؟ هذا ما تريد أن تعرفه!

انتزع وصول المضيفة وهي تحمل سندويشات الجبن سيل من أفكارها فتذكرت أنها لم تتناول العشاء.. وهذا بدوره ذكرها أنها

كانت ستتعشى مع موري، وكم كانت تتوق إلى ذلك العشاء.

تصاعدت الغصة إلى حلقها، فأبعدتها، ورفرفت عينيها عدة مرات.. لن تبكي.. آه! كيف تمكن من التصرف بهذه الطريقة معها؟ كم كانت الأقدار غير منصفة لأنها سمحت لها بقضاء يوم رائع؟ فيما كانت تخبىء بين ثناياها كل هذا البؤس.

دامت الرحلة إلى القاهرة خمسين دقيقة. بعدما حطت الطائرة، قررت السؤال عن أقرب رحلة إلى لندن.. وكانت أفكارها ما تزال مشغولة بموري، إنما هذه المرة في تهديده بطردها من العمل منذ البداية.

لم يطردها لأنها أغرمت به.. إذ لا فكرة لديه عما تشعر به نحوه. لا.. ما طردها من أجله هو لإفسادها عمل أسابيع شاقة من أجل الحصول على العقد.

فجأة توقفت أفكارها عند كلمة «العقد» وتسمرت في مكانها فوقعت حقيبتها أرضاً. قد يمزق بديع حسني في فورة غضب نسخته الموقعة من العقد.. ولكن هناك نسخة أخرى.. وهي معها.. في حقيبتها!

التقطت حقيبتها وجلست في كرسي تحاول جمع أفكارها.. بدأت عدة أفكار تتجمع دفعة واحدة، إحداها كانت: إن بديع حسني وإن غضب من موري لضربه ابنه الحبيب الوحيد لن يمزق العقد لأنه رجل شرف..

ولكن إن لم يمزق العقد لا تستطيع غض النظر عن النسخة التي ما تزال في حوزتها. ربما طردت من العمل، مع أنها تفضل الاعتقاد أنها استقالت.. لكن، لا سكرتيرة كفؤة تستحق اسمها، قد تخفي وثائق كهذه مهما كانت الطريقة التي عوملت بها.. حسناً، ربما يحصل هذا إنما ليس إذا كانت تلك السكرتيرة مغرمة بالوغد الذي

طردها من العمل.

تشتت أفكار سيل التي لا تريد رؤية موري مجدداً فلن تنسى أبداً قوله لها «كنت تعطينني الضوء الأخضر» ولا الطريقة التي حاولت أن تنكر فيها قوله.

أبعدت أفكارها عن ذكرى ذاك العناق المؤلم، ولكن بمقدار ما كانت تتهرب من رؤية موري مرة أخرى، بمقدار ما كانت تعرف أنها لا تستطيع العودة إلى بريطانيا بدون أن توصل الوثائق إلى أحد.

ما إن توصلت إلى هذا الاستنتاج، حتى بدا القرار جاهزاً أمامها، تركت مبنى المطار بحثاً عن تاكسي ثم راحت تخطط لما ستفعل. ستوصل العقد إلى اليكس بايرد في مكتب القاهرة غداً، وستطلب منه أن يخبر موري أن المحفظة معه. وتطلب منه كذلك أن يبقيها في خزنته حتى يجيء موري ليأخذها، أو يرسل أحداً.

سألها رجل مصري كهل أبوي المظهر:

ـ تاكسي!

كانت سيل تفكر في الذهاب إلى فندق ما، إذ لا يمكنها قضاء ليلتها في المطار، ولا يمكنها البقاء على عتبة المكتب حتى يصل أحد ويسمح لها بالدخول.. أعطت السائق حقيبتها وقالت بطريقة لا واعية:

ـ إلى الجيزة.

أدركت أن تفكيرها لم يكن صافياً كما تظن.. مع أنها بعد أن أقفل السائق الباب وأدار سيارته هزت كتفيها وقررت أن فندقاً في الجيزة كأي فندق آخر.

بدا أن السائق يحب الكلام، ويتحدث الإنكليزية إلى درجة ما.. ولكن سيل شعرت بالضجر فاقتصر حديثها معه بقولها له إنها تريد الذهاب إلى فندق جيد، فرد عليها بأنه يعرف ما يناسبها.

سألها: «هل أنت في إجازة؟»

لكنه لاذ بالصمت عندما ردت بكلمة واحدة «لا».

بعد نصف ساعة تقريباً حين توقف خارج فندق في الجيزة بدأت سيل تدرك مدى ارتباكها. قالت للسائق وهي تحمل حقيبتها إلى الفندق:

ـ شكراً لك.

وخشية أن تكون قد جرحت مشاعره بصمتها أعطته بخشيشاً سخياً. فابتسم قائلاً: «استمتعي بإقامتك هنا».

تقدمت سيل إلى مكتب الاستقبال وكلها رجاء أن تستطيع البقاء هنا.. فبسبب انشغال أفكارها لم تفكر في احتمال عدم إيجاد غرف فارغة.

لم يكن لقلقها أساس، بدا موظف الاستقبال لطيفاً فقد غضّ النظر عن قدومها في وقت متأخر فالساعة تبلغ الثانية صباحاً.

ـ بالتأكيد سيدتي.. كم ستمكثين عندنا؟

ـ ليلة واحدة فقط.. هل من الممكن أن أحجز تذكرة إلى انكلترا من هنا؟

ابتسم: «بكل تأكيد.. لك فقط».

بعد نصف ساعة وبعد تردد في مكتب الحجز، حجزت مقعداً في رحلة بعد الظهر.

دخلت إلى الفراش مع أنها لا تشعر بالنعاس.

أخرجت المحفظة الجلدية من فستانها الحريري وتفحصت محتوياتها.. كل شيء في مكانه. أعادت المحفظة إلى الحقيبة وأقفلت الغطاء ثم اغتسلت وغيرت ملابسها قبل أن تأوي إلى الفراش.. ولكن ما إن أطفأت النور حتى طالعتها الكوابيس فأضاءت النور ثانية واستلقت في السرير مستيقظة، يضج رأسها بكل

ما جرى بشكل مأساوي. . هي لم تقد حسين إلى ذلك المدى رغم ما قاله موري. . أنم يقل لها هو نفسه إن عليها ألا تغضبه! آه! هذا غير عادل. . غير عادل!

وقعت في أحضان إغفاءة خفيفة وهي تتمنى لو تستطيع أن تكره موري بأقل قدر من الألم. لكنها تحبه وهذا الحب إجحاف بحقها.

استيقظت من جديد بعد عشرين دقيقة. . بعدها قامت بجهود حثيثة لتعود إلى النوم، وأطفأت المصباح قرب السرير.

في هذه المرة كان نومها أكثر عمقاً وأطول بقليل. . مع أن الظلام كان شديداً حين استيقظت مرة أخرى في الخامسة إلا ربعاً على صوت الأذان الذي يدعو إلى الصلاة.

طوال فترة الأذان الشجي الصوت كانت تحاول إبعاد موري عن أفكارها. . بعد الخامسة بقليل انتهى الأذان، ولم تتح لها فرصة التركيز على أي شيء آخر. . وظلّ موري، موري، موري، يدور في عقلها وكيانها.

بعد الخامسة والربع، رنّ الهاتف في غرفتها فسرت لأنه قطع عليها أفكارها. . التقطته وهي تعلم مسبقاً أن شخصاً ما طلب إيقاظه باكراً، وأن المسؤول الليلي سجل رقم الغرفة الخاطئة.

كانت تهم بذكر رقم غرفتها عندما سمعت من يقول: «آلو»

كادت تتهاوى من فرط الصدمة وظنت أنها بسبب تفكيرها الشديد بموري قد خالت أنها تسمع صوته. . فالصوت الذي قال «آلو» صوت الرجل الذي تحب! غير معقول. . إنه موري!

قال بصوت معقول: «سيل. . أود أن أراك».

موري. . ! إنه. . ! ماذا؟ سحبت نفساً عميقاً، وقفز قلبها. . موري يريد رؤيتها. بدأت تقول:

ـ أنا. . .

ثم هوت معنوياتها إلى الحضيض. . آه! ما أشد حماقتها! بالتأكيد يريد رؤيتها. . إنما ليس من أجلها هي بل من أجل العقد. . لقد قام باتصالات مع الشيطان نفسه ليستعيد العقد.

الكرامة التي ظنت أنها هجرتها سارعت إلى إنقاذها. . قالت بخفة:

ـ هذا صعب.

لم تعجبه لهجتها إذ كان كل شيء واضحاً في سؤاله الحاد:

ـ لماذا؟

ـ أنتَ في الأقصر، وأنا في القاهرة. . .

صدمها تأثير ما حصل. . يا الله! كيف عرف أنها غادرت الأقصر، وأنها جاءت إلى القاهرة؟ بل كيف عرف في أي فندق نزلت؟

جاء صوته بعدما انتظر طويلاً لتكمل كلامها:

ـ في الواقع لست في الأقصر.

ـ لست في الأقصر؟

ـ لا.

ـ أنت في القاهرة؟

رد مرة أخرى: «لا. . .».

تنفست سيل الصعداء، ولكنه أضاف ببرود:

ـ أنا في الجيزة.

أمسكت يدها بالهاتف بقوة. . موري في الجيزة! نضحت يداها عرقاً وجفّ حلقها. عندما حاولت الكلام خرج صوتها أجشّ وهي تسأل ما بدأت تعرف الرد عليه.

ـ في. . أي. . فندق؟

ـ في الفندق الذي أنت فيه.

ـ الذي . . .

ـ أنا على مسافة الممر منك .

أردف بطريقة رجل الأعمال الذي لا وقت يضيعه :

ـ لدي اجتماع في الثامنة . . فهل من المناسب أن أراك الآن؟

الآن! سبّب طلبه المفاجيء الاضطراب لسبل . لا . . لا . . لا . . صاح بها عقلها . . ولكن قلبها كان يقول . . أجل . تذكرت كيف كان في المرة الأخيرة التي رأته فيها وتذكرت اتهامه إياها بأنها أعطته الضوء الأخضر فصاحت كرامتها . . أبداً .

ولكن عليها أن تسلمه العقد الذي جاء من أجله، العقد الذي سبب له متاعب جمة حتى حصل عليه .

صاح بنفاد صبر : «حسناً ما ردك؟»

ردت بحدة : «نعم من المناسب» .

وصفقت السماعة .

قبل أن تتمكن من إنهاء تزرير روبها، وإخراج المحفظة من حقيبتها، سمعت قرع موري الخفيف على بابها . افترضت أن عليها أن تكون شاكرة له لأنه أخذ بعين الاعتبار وجود نزلاء آخرين . اتجهت بسرعة إلى الباب قبل أن ينفذ صبره ويقرع مرة أخرى .

ترددت عند الباب فاضطرت إلى سحب نفس عميق قبل أن تمد يدها إلى المقبض .

المفترض أن تهدىء هذه الأنفاس العميقة روعها . . ولكنها كانت هباء . . فما إن فتحت الباب ووقعت في وجه موري، حتى تلاشى لونها ووهنت ساقاها . . أوه . . ما أحبه إلى قلبها! بدا حليقاً، ولكن في عينيه نظرة توتر أقلقتها . . راحت عيناه تستوعبان كل حنايا وجهها . كانت تعرف أنه جاء بسبب محفظة الوثائق التي تحملها في يدها الآن ولكنه لم يتحرك لياخذها منها .

فجأة شحب وجهها ورأت أن لا حاجة للكلمات . . فكل ما يجب أن يقال بينهما قبل، وانتهى الأمر .

عندما رفعت محفظة الوثائق ودفعتها إليه، تركت عيناه عينيها ونظر إلى الحقيبة . . اعتقدت أن من دواعي سروره أن يستعيد وثائق الشركة السرية، ولكنه وبا للمفاجأة رفع يده ودفعها مرة أخرى إليها .

ولعل أكثر ما أذهلها طريقته في الدخول إلى غرفتها، لقد اقتحم الغرفة اقتحاماً .

وفيما كانت ترتد إلى الخلف أقفل الباب وراءه .

ثم راحت عيناه تطوفان بها من رأسها إلى أخمص قدميها . أخذ المحفظة منها، ورماها على السرير . ثم قال بحدة :

ـ لم آتِ بسبب هذه!

فجأة، لاحظت خطورة الوميض في عينيه . . فارتعش جسمها . إنها لم تعرف إذن لماذا جاء . . ولكنها لم تره قط أشد قسوة، أو أكثر تصميماً!

* * *

٩ ـ مفتاح القلب كلمة

لم تكن سيل قطُّ بحاجة يوماً إلى رباطة جأشها كالآن. . ولكن في ما كانت تنظر إلى موري شعرت بخليط من عذاب داخلي. . وبمعجزة تمكنت أخيراً من إيجاد صوتها.

ـ كان يجب أن تقول هذا. . لكنت وفرت على نفسك عناء الزيارة.

ـ أردت. . رؤيتك.

إن كلماته هذه لا تعني شيئاً، ولكنها مع ذلك جعلت قلبها يخفق بسرعة.

ـ لا شك. . أن الأمر في غاية الأهمية لأنك لحقت بي من الأقصر. . آه! لا شك أنك كنت قادماً إلى القاهرة على أي حال.

صمتت بسبب حركة بدرت منه تدل على نفاد صبره. . لم ينكر أنه كان يخطط للمجيء إلى القاهرة، بل اكتفى بالقول:

ـ كان وما زال الأمر مهماً.

انتزعت عينيها عنه أخيراً، وسألت:

ـ هل أنت واثق أنك لم تأت بسبب العقد؟

تعرف أنه لا يكذب، ولكنها شعرت بالارتياح الشديد فجأة ولا تعرف رداً آخر.

بعد لحظات صمت قال:

ـ جئت من بين أشياء أخرى لأعتذر.

لم تفكر في الأشياء الأخرى لكن:

ـ أنت. . تعتذر؟ اسمح لي أن يُغمى عليّ!

ـ وهل أنا سيء إلى هذا الحد؟

ـ ما هو إذن الشيء المحدد الذي تود الاعتذار عنه؟

لاحظت أن تعابيره عادت إلى القسوة، وكأن لهجتها اللاذعة بدأت تخزه، وكما توقعت، لم يتأخر لحظات عن مهاجمة لسانها الحاد، إذ قال بحدة:

ـ ليس من أجل إغواءك. آه. . اعترفي سيل. . ألم. . . ؟

صمت فجأة. . وبدا لها أنه مرتبك، ومتوتر، ثم قال:

ـ اسمعي! هلا جلسنا؟

ردت: «لن يطول الأمر الذي جئت من أجله إلى هذا الحد بالتأكيد؟»

كانت تحبه وتكرهه، ولكنها كانت تخشى أن تفضح حبها الذي تصغر عنده كراهيتها له.

قال: «لست ذاهبة إلى أي مكان قبل ساعات».

أحست أنه لا يعرف فقط بموعد ذهابها إلى الشركة في التاسعة، بل يعرف كذلك موعد سفرها إلى انكلترا. وهذا ما جعلها تدرك أن عليها أن تحذر منه لأنه قادر على قراءة أفكارها. اتجهت نحو كرسيين صغيرين، تفصلهما طاولة منخفضة.

تمتمت: «كنت تعتذر على ما أعتقد».

كم تتمنى لو كان لديها الوقت الكافي لترتدي شيئاً من الثياب. . رأت عينيه تتجهان إلى شعرها الأشعث فتمنت لو وجدت وقتاً لتمشطه.

قال بعد لحظات:

ـ كنت أعتذر.. لقد خرجت عن طوري في اتهامك بإغواء حسين حسني.. في الوقت الذي كنت فيه تتجنبين إغضابه خشية أن تكوني السبب في إفشال المساعي التي كنا نبذلها من أجل العقد.

وثب قلبها وثبة عالية لأنها سمعته يتكلم معها بتفهم كامل للصعوبات التي واجهتها.. لكن، مقابل هذا، كان هناك الجرح الذي سببه لها بسبب معاملته إياها بتلك الطريقة.. فهل هي مخلوق مثير للشفقة لذا قرر الاعتذار عن تصرفه معها؟ وهل يجب أن تبتسم له طالبة منه عدم التفكير في الأمر بعد الآن؟

أخيراً، وجدت اللهجة الباردة التي كانت تريدها:

ـ في الواقع، أعجبت كثيراً بحسين.

رأته يعبس، أسبب عبوسه لهجتها أم كلماتها؟ لكنه لم يتردد في مقاطعتها بقسوة:

ـ لم أرك معجبة به حين هاجمك!

ـ ذلك أمر مختلف.. على أي حال شكراً لاعتذارك.

ولكي تلمح إلى انتهاء المقابلة، هبّت على قدميها.. ولكنها عادت للجلوس ثانية لأنه أمسكها بيديه وشدها.

ـ لم أنته.. بل الواقع أنني لم أبدأ.

غاصت في مقعدها مجدداً، وسحبت يديها من قبضته:

ـ في هذه الحالة.. هل أفترض أنك نادم على طردي لأنني كما قلت أنت أغويت حسين حسني في غرفة نومي. وأظنك قلت أيضاً إن مؤسسة بيكون لا تقوم بأعمالها بهذه الطريقة.

دهشت لأنها توقعت منه رداً سليطاً ولكن العكس فعندما تحدث لم تجد أثراً للسخرية في رده:

ـ أستحق أن ترمي هذا الكلام في وجهي، مع أن لدي أسباباً تعذرني! أنت غير مطرودة بالتأكيد من العمل، لأنك ثمينة جداً

للشركة.

لكنها لم تكن تريد أن تكون ثمينة للشركة بل أن تكون ثمينة له.

ـ أما زلت ثمينة للشركة مع أنني السبب في خسارتها ذلك العقد؟

ـ خسارة؟

ـ أعرف أن نسختنا معنا.. وأعرف أنها سريعة بسبب محتوياتها.. ولكن إن كان بديع حسني قد مزق نسخته..

ـ ولماذا تظنينه قد يفعل شيئاً كهذا؟

فقدت سبل السيطرة على أعصابها. فصاحت:

ـ أنت لا تطاق! أكرر ما قلته لي «بسبب تصرفك الشاذ دمرت لي ما احتجت إلى أشهر لأنجزه!»

لعن بصوت خفيض:

ـ اللعنة؟ أستطيع شرح كل هذا.. قد يطمئن بالك إن عرفت أنني قبل أن أغادر الأقصر، تلقيت اتصالاً هاتفياً من بديع حسني الذي كان قلقاً جداً.

ـ قلقاً؟

ـ الواضح أن حسيناً ذهب إلى المنزل وأخبره ببضع كلمات حادة أنني طردته من غرفتك.

تذكرت أنه طرده وهو يوجه له كلاماً قاسياً بالعربية..

قالت: «أذكر أنك وجهت له ما بدا لي أقسى من الطرد».

ـ كان يستحقه!

ردت: «أرجو أن يقدّر والده هذا الواقع!»

وفغرت فاها بسبب رده الرزين:

ـ لقد فعل.. اتصل بي ليقول إن حسيناً لا يدرك ما هي الأمور بيني وبينك...

صاحت تقاطعه: «بيني وبينك».

وتمنت لو لم تقل هذا، فهي تعرف أن لا شيء بينهما. على الأقل، ليس من جهته..

قال وعيناه لا تفارقان عينيها:

ـ أرجو أن تسامحيني سيل.. لكنني أنا الذي رميت حسيناً إلى الخارج ثم قلت له.. إنك لي.

نظرت إليه بذهول.. ثم قامت بجهد جبّار للمحافظة على تماسكها إذ لم تفهم قوله لحسين إنها له، علماً أنه كان في ذروة غضبه. وظلّ قلبها يخفق بحيرة حتى رست على الرد الذي خفّف ضربات قلبها المتسارعة.. إن موري مستعد لفعل أي شيء لإنقاذ ذلك العقد.. حتى في غضبه..

قالت بتحفظ:

ـ من الطبيعي أن تقول له شيئاً يعذرك على ضربه، ومن الطبيعي كذلك..

جعلتها نظرته القاتمة تصمت.

ـ لم أكن مجبراً على القول له..

وصمت فجأة، فظنت أنه متوتر الأعصاب مرة أخرى.. ولكنها صرفت النظر عن الفكرة السخيفة. ثم لاحظت أنه سحب نفساً عميقاً قبل أن يردف:

ـ عندما استعاد حسين حسني حسن الإدراك، كما قال بديع، وحاول أن يتجاوز خيبة أمله لأنك مرتبطة، أصبح خائفاً من أن يكون قد أساء إلى زبون مهم، وأن يكون قد هدّم ساعات من عمل والده، في سبيل العقد..

فغرت فاها، وهي تسأل:

ـ هكذا اتصل بك بديع حسني ليتأكد من أنك لم تغير رأيك

بشأن العقد!

أكد لها كلامها: «صحيح».

نظرت إليه سيل نظرة احتقار:

ـ هه! لو وقعت في بالوعة أقذار، لخرجت ورائحتك كالورد.

رأت شفتيه تلتويان.. ولكنها لم تشعر بمودة كبيرة نحوه لحظتئذ.

ـ ستقول لي الآن إنك بعدما تأكدت من عدم خسارة العقد أحسست أن عليك أن تقول لي شخصياً إنني غير مطرودة من العمل!.. حسناً. لدي أخبار لك أيها السيد الذي لا يعرف قول أرجوك ولا شكراً أبداً. لن أعمل لك، أو لشركة بيكون ولو...

قاطعها: «حباً بالله! ماذا قلت لك؟»

لكنها قد أمضت ساعات طويلة من العذاب بسببه، وليست مستعدة حتى الآن للهدوء.

ـ لقد قلت أكثر مما يكفي! لولا اتصال بديع حسني بك هذه الليلة لما فكرت قيْ مرة أخرى، ولما حاولت بالتأكيد أن تتصل بي.. ولكنت غادرت الأقصر غير عابئ بي.. ولكنت...

صاح موري: «حباً بالله.. هلا صمت؟»

وكانت الطريقة الوحيدة لينجح في إسكاتها.

جعلتها هذه المقاطعة الفظة تشعر بالذعر، فقد تكون كشفت في كل ما قالته عن رغبتها في أن يفكر فيها.

لكنها قالت بتحدٍ: «ماذا؟»

ـ لو تركت لي فرصة قول كلمة لقلت لك فكرت فيك بكل تأكيد.. يا إلهي يا امرأة.. لقد جُبْتُ الأقصر طولاً وعرضاً بحثاً عنك قبل مخابرة بديع.

أذهلها ما سمعت فجلست تنظر إليه بدهشة:

ـ بحثت عني قبل اتصال بديع.. أنت..

جاءت وتيرة صوتها منخفضة.

رد: «لقد أرعبتني حتى الموت بفرارك هكذا».

ـ أنا.. صحيح؟

ثم أضافت بائسة وهي تحاول جمع شتات نفسها:

ـ لا أظنك خلتني أخذت ملاحظاتك على محمل الجد ورميت نفسي في النيل؟

تحولت نظرته مرة أخرى إلى تساؤل فخشيت للمرة الثانية أن تكون كشفت عن شيء من مشاعرها.

لم يعلق على ما قالت، بل رد بعد لحظة:

ـ لا.. لم أظن هذا.. بعدما تركتك.. تركت غرفتك.. خرجت أتمشى، خطرت على بالي أفكار كثيرة ولكن أول ما قمت به بعد عودتي هو التوجه إلى غرفتك.

قالت ببطء: «فهمت..»

فكرت: إذن لقد أدرك في أثناء سيره ذاك أنه كان مجحفاً بحقها فقرر التوجه إلى غرفتها للاعتذار.

أردفت: «لكنني لم أكن هناك.. هكذا..»

صمتت ونظرت بوقار إلى عينيه الرماديتين الثابتتين. بطريقة ما لم تستطع تكذيب أنه كان يجوب الأقصر بحثاً عنها.

أضاف: هكذا.. بدأت أبحث عنك. كنا سنذهب إلى العشاء معاً.. ثم أدركت أنك تفضلين الموت جوعاً على تناول كسرة خبز معي بعد تصرفي ذاك. وهذا ما يعني أنك كنت ستستقلين سيارة أجرة إلى فندق آخر، بدل المخاطرة في مشاركة المكان ذاته معي.

بدأت مقاومتها نحوه تتداعى، فما تسمعه منه يجعلها تعيد التفكير مراراً ومراراً.

قالت: «نسيت أنني لم آكل».

قال بصوت هامس:

ـ آه! يا إلهي.. أكنت منزعجة مني إلى هذا الحد...؟

قالت بسرعة: المحزن!

لكنه أضاف: «استقليت سيارة أجرة لأبحث في الأماكن التي من الممكن أن تذهبي إليها.. ثم عدت إلى غرفتك مجدداً».

كانت عيناها تتسعان استغراباً وهي تصغي إلى المتاعب التي مر بها في بحثه عنها ولكن استغرابها لم ينته عند هذا الحد.

ـ عندما لم تردي أو تفتحي الباب عدت إلى مكتب الاستقبال لأسأل إن شاهدك أحدهم فأُخبرت عندئذ أنك سلمت مفتاح الغرفة، وأخبرني أحدهم أنه رأى حقيبتك بيدك.

صاحت استغراباً: «يا الله.. كيف لاحظ ذلك مع دخول وخروج الكثيرين؟».

قاطعها: «كان رجلاً من الجنس البشري، ولست ممن يمكن لبشري ألا يلاحظه سيل».

ـ آه! ماذا فعلت بعدئذ؟

ـ وماذا يمكن أن أفعل؟ أخذت المفتاح وألقيت نظرة على غرفتك.

ازداد اتساع عينيها أمام ما تسمعه:

ـ فعلمت أنني رحلت؟

هز رأسه: «ولكنني لم أعرف إلى أين.. وكنت في غرفتي أرمي ثيابي في حقيبتي حين اتصل بديع حسني بي».

أدركت الصورة كلها:

ـ آه.. لقد عرفت أنك أمضيت ما يكفي من وقت في البحث عني، وأنك إذا ضيعت وقتاً آخر، فاتتك طائرة القاهرة؟

ـ في هذه المرحلة، لم أكن أعرف إلى أين أطير، إلى القاهرة أم الاسكندرية.. أو إلى الجحيم.

ـ لكن الاجتماع؟ الاجتماع الذي قلت إنك ستحضره في القاهرة في الساعة الثامنة.

ـ كذبت في هذا.

ـ كذبت؟

ـ وماذا كان بإمكاني أن أفعل غير هذا.. لقد كنت محظوظاً لأنني وجدتك.

عانى الأمرين للوصول إليها، وبما أن لا موعد لديه في القاهرة ذلك الصباح، فهذا يعني بالتأكيد أنه لحق بها عن عمد إلى القاهرة! فجأة أخذ قلبها يخفق بشدة مرة أخرى.. وعرفت ساعتئذ أنها تريد سماع كل ما يريد قوله لها.. ولأنه قادر على الاتصال بها في أي مكان في العالم ليعتذر، لم تفهم لماذا سعى إليها شخصياً.. أيعني هذا أن هناك أكثر مما بدا لها؟ تذكرت اليوم الرائع الذي تشاطرانه.. حتى ظهر حسين على المسرح.. ابتلعت ريقها.. أكان الأمر جيداً أم سيئاً، تريد منه أن يعدد أسباب سعيه إليها.

ـ لقد.. قلت، إنك كنت محظوظاً.

قال بلهجة صادقة:

ـ أشكر الله على العاصفة الرملية! فقد أثرت تلك العاصفة على مواعيد الطيران.. ولولا هذا لما عرفت إلى أين سافرت. حين بدأت أسأل في المطار، اتضح لي بسبب اختلاف المواعيد أن الطائرة الوحيدة التي قد تستقلينها كانت إلى القاهرة.

ـ يا الله! إذن لقد سافرت إلى القاهرة فعلاً ورائي؟

ـ وأمضيت معظم الرحلة متسائلاً عما إذا هدأت قليلاً لتتذكري أنك تحتفظين بالعقد.

ـ أنا.. لم أتذكر العقد حتى هبوط الطائرة. أفهذا السبب لحقت بي؟ عرفت أن العقد ما زال معي.. و....

أصمتتها الصدمة إذ رأت من التعبير الغاضب الذي ظهر على وجهه أنها أغضبته كثيراً.

قال بصوت راعد عاصف:

ـ ألم تصغي إلى كلمة واحدة مما قلت؟ فليذهب ذاك العقد إلى الجحيم فلا شأن له بقدومي إلى هنا بل ما فكرت فيه لحظة عندما كنت أجوب الأقصر بحثاً عنك! في الواقع، السبب الوحيد الذي جعلني أفكر فيه وأنا قادم إلى هنا هو رجائي أن تكوني قد تذكرته.

ـ لا أفهم كيف.

ـ إذن حاولي فهم هذا.! لقد فتشت غرفتك جيداً وأنا أبحث عنك، ولكن بعد اتصال بديع حسني، أدركت أنك لو تركته لوجدته.. أنك لو مزقته ورميته لشاهدته في سلة المهملات.

صاحت بذهول: «أتصورتني أمزقه؟»

ابتسم فجأة، ثم قال بلطف: «ما كنت لألومك».

وبينما قلبها يتراقص، قامت بما في وسعها لتسيطر على خفقات قلبها التي تشب بين ضلوعها بسبب ابتسامته ولطفه.

تابع: «بدا لي أن من الأسلم لك أن تتجهي إلى القاهرة وبما أنك لم تنتظري طائرة الاسكندرية فهذا يعني أنك لن تذهبي إلى هناك.. وهذا يعني أنك كنت تنوين السفر إلى انكلترا على أول طائرة. وهناك قد تختفين وتعيشين مع أناس لا أعرفهم، وقد يمر دهر قبل أن أجدك».

أيقول إنه سيلحق بها إلى انكلترا؟

أردف: «كان هذا.. إلا إذا..»

سألت حائرة: «إلا إذا...»

ظل صامتاً لحظات، لكنه كان ينظر إليها وكأنما مجرد رؤيتها تجعله مطمئناً وكان قلبها يعصف بين ضلوعها.

أردف بعدما جمع شتات نفسه: إلا إذا تذكرت الوثائق السرية.. فقد عرفت طوال تلك الأسابيع التي عملتها معك أنك إضافة إلى طبعك الناري مخلصة وكفؤة.

وجدت أنها غير قادرة على الإصغاء بدون أن تعلّق:

ـ أتقول لي هذا الآن؟

عاتبها: «لست بحاجة إلى من يخبرك ذلك.. لقد فتشت مطار القاهرة بحثاً عنك.. وعندما لم أجدك رحت أعتمد على وفائك للشركة».

ـ قلت بينك وبين نفسك إنني إن تذكرت الوثائق امتنعت عن مغادرة القاهرة قبل أن أضع العقد في أيد أمينة؟

قال بهدوء: «أردت رؤيتك، أيتها العزيزة سيل. ولهذا أملت من كل قلبي أن تتذكري العقد وأن تشعري بعدم الثقة بالبريد، فتقررين وضعه بنفسك في مكتب القاهرة حالما تفتح الشركة أبوابها».

ابتلعت ريقها: «فكرت في ملاقاتي في مكتب الشركة.. حين..»

ـ كنت أنوي أن أكون هناك قبلك.. ولكنني كنت نافذ الصبر فلم أستطع الانتظار.

ـ لم تستطع؟

هز رأسه معترفاً.

ـ فتشت في عدة فنادق في القاهرة، ثم تذكرت شوقك إلى زيارة الأهرامات.. وكانت رمية من غير رامي.. ولكنني تخليت عن البحث عنك في القاهرة وانتقلت للبحث في الجيزة.

ـ حقاً.. الواقع أنني لم أفكر بالأهرامات حين طلبت من سائق التاكسي أن يقلني إلى الجيزة.

نظر إليها وكأنه منتعش القلب بمعرفته أنها لم تفكر في الأهرامات حتى بعد وقت طويل على شجارهما. ولكن بدل الضغط عليها لتقول له سبب عدم تفكيرها، ابتسم بلطف وقال لها:

ـ لا يهم.. وجدتك أخيراً، بعدما وجدتك حجزت غرفة في هذا الفندق ولكنني اكتشفت أنني غير قادر على الانتظار حتى طلوع النهار.

ـ وهل كنت مستيقظاً وقت الأذان؟

ـ يا عزيزتي لم أذق النوم، ولم أستطع الانتظار وقتاً أطول فابتهلت إلى الله أن يكون صوت المؤذن قد أيقظك.. وعندما سمعت صوتك عرفت أنك لم تستطيعي النوم أيضاً، فتشجعت.

نظرت إليه فظنت أنها ستنهار قريباً تحت ضغط التوتر الذي ترزح تحته فجأة..

ثم سألت: «تشجعت.. لماذا موري؟»

ـ ألا تعرفين حتى الآن؟

تملكها الخوف الشديد من أن تكون مخطئة في ما فكرت فيه. على أي حال وجدت ما يكفي من الشجاعة لتقول:

ـ إن لم يكن العقد هو المهم لك...

ولم تستطع قول المزيد.

تولى موري الكلام نيابة عنها.

ـ ما دام ذاك العقد غير مهم لي فما المهم إذن؟ كي أهرع من الأقصر إلى القاهرة بحثاً عنك، المهم يا عزيزتي سيل أنت.

ـ آه!

ـ وماذا تعني هذه الـ «آه»؟

بدا أنه يستعد لتلقي ما هو أسوأ فقالت:

ـ تعني.. أنني.. خائفة.

ـ مني؟

ـ مما لم نقله.

ـ مما لم.. لكنني كنت أقول لك إنني أحبك كثيراً، سيليا سوفتنغ.. فهل ستقولين لي إنك لم تفهمي هذا؟

ـ تحب المرأة سماع الأشياء بالتفصيل.

ـ تحب..؟ لن تعطي رجلاً مثل هذا التشجيع دون أن تعني شيئاً.. أليس كذلك؟

كادت تسأله أي صنف من النساء يظنها؟ لكن نظرة إلى تعبيره المتشدد أخبرتها بأنه جاد فعلاً.

فردت ببساطة: «لا، لن أفعل هذا».

وقف ثم مد ذراعيه لها يقول آمراً:

ـ تعالي إلى هنا ورددي ما قلت.

تركت كرسيها بهدوء وهمست اسمه:

ـ موري!

فيما كان يجذبها بلطف إلى ذراعيه، لم تقل شيئاً لبضع دقائق. بعد ذلك مال إلى الخلف لينظر إلى وجهها، ثم أبعدها عنه بلطف وحنان تاركاً يديه على كتفيها، وقال متمتماً:

ـ آه حبيبتي.. لن أسألك الآن عما دفعك للاهتمام بي.. ولكن، بما أنني لا أمانع في معرفة كل شيء بالتفصيل فهل هناك ما تودين البوح به؟

إن ما يحدث الآن أمر لا يصدق، أهو بحاجة حقاً إلى سماعها تعترف بحبها؟.. ولكنها تذكرت أنها كانت متوترة الأعصاب بحيث لم تكد تصدق أنه يحبها.. سحبت نفساً مرتعشاً.

ـ آه موري.. أحبك كثيراً!

صاح صيحة انتصار، وفجأة أعادها إلى ذراعيه بشغف. ومرت دقائق طويلة، وهو يضمها إليه، ثم أبعدها قليلاً عنه، لتتفرس عيناه بوجهها الحبيب..

قال هامساً: «يا للعذاب الذي سببته لي يا حبي العزيز! ويا للغيرة التي اختبرتها منذ قدومك إلى القاهرة بشعرك الأشقر الشاحب ووجهك الرائع الذي لم أكن أريده!»

قاطعته: «الغيرة؟!».

ابتسم: «أمامنا أمور كثيرة نتحدث عنها».

كان يريدها أقرب ما تكون إليه، فحركها ليجلسا على مقعد طويل.

ـ ليس لديك فكرة عما كنت أشعر به تجاهك أيتها الشابة.

ـ لم أكن أعرف.. ولكنني أريد أن أعرف.

ـ مجنونة لكن محبوبة.. لقد بدأنا بالتخاصم منذ اليوم الأول. تجرأت على تحذيرك من الإعجاب بي ولكن ما لم أحسب حسابه هو أن تظهري الإعجاب بأحد سواي.

سألت: «أتشير إلى حسين؟».

ـ مثلاً.

ـ ومن غيره؟

ـ هيوغو مارتن أيضاً.

ـ هيوغو مارتن!

ـ لا يمكنك أن تكوني دهشة بمقداري.

ـ لكن لا سبب يجعلك تغار منه.

ـ كيف لا أتوتر وأنا أراه يحاول مغازلتك أمام عيني؟

ـ وهل توترت؟

- جداً.. كما توترت عندما دعاك إلى الغداء.

- كان ذلك في اليوم الذي خرجنا فيه معاً للغداء مع بديع حسني.

- لم يكن في نيتي اصطحابك معي يومذاك.. ولم يخطر ببالي أنني قد أحتاج إليك إلا بعدما بدا لي أنك ستتناولين الغداء معه..

- لم يكن في نيتك اصطحابي ذلك اليوم.. كنت تغار! آمنذ ذلك الوقت.. وأنت..

جعلتها الدهشة تعجز عن إضافة كلمة أخرى.

- منذ ذلك الوقت البعيد، وأنا أشعر بالغيرة. منذ ذلك الوقت وقعت في شباكك ولكنني كنت أنكر المشاعر التي تعتمل في نفسي والتي أصرت على الظهور إلى العلن.

- أي نوع من المشاعر؟

ضمها إليه ونسيت السؤال. ثم نظر إلى وجهها المتورد.

هزت رأسها ثم ضحكت فضمها إليه مجدداً:

- يا الله كم أحبك، أين كنا؟

بدا صوته عميقاً جافاً. فهمست: «وأنا أحبك أيضاً.. أظننا كنا نتكلم عن الغيرة».

- آه.. أجل. الغيرة، وعن إنكاري وجودها. ولكنها رغم كل ما فعلت، كانت تواجهني. بعد مارتن كان عليّ مقاتلة الوحش حتى اتصل حسين يطلب عنوانك.

- حدث ذلك يوم وصولي إلى الاسكندرية، حيث حجزت لي في الفندق؟

- وكنت يومذاك واثقاً بأنني لا أهتم البتة بمن يعرف في أي فندق نقيمين، فأعطيته الرقم، ثم بدون سبب اتصلت بك فوجدت خطك مشغولاً.

تمتمت: «لكنك اتصلت مرة أخرى، وطلبت أن تعرف ما إذا كنت سأتناول العشاء مع حسين، وظننت أنه سيسعدك أن تعرف أنني لم أكن سأتعشى معه».

- أسعدني ذلك بالتأكيد! ولم يعجبني ما شعرت به من فرح. فقد كنت يا حبي العزيز قد بدأت أتشوش بالنسبة لك.

قالت بحرارة: «لم يظهر عليك ذلك».

- أعتذر من كل قلبي الآن على كل مرة كنت فيها كريهاً وفظاً معك ولعل ما يعذرني أنها المرة الأولى التي يحدث لي شيء كهذا. لا، لم أكن أرتاب بما أشعر به أو أرفضه فقط، بل لم أرغب في تصديقه.

سألت ممازحة: «أكان سيئاً إلى هذه الدرجة؟»

ابتسم: «بل قاتل.. لم أكد أعرفك تقريباً بعد ظهر ذلك اليوم الذي ذهبت فيه إلى المطعم مع حسين حسني. مع ذلك حين عدت إلى العمل ولم أجدك اكتشفت أنني أركز على سماع وقع خطواتك، أكثر مما أركز على عملي».

شهقت بذهول: «حقاً؟»

- حقاً.. وعدت إلى بيتي تلك الليلة وأنا أقول لنفسي إنك لا تعنين لي شيئاً، ولكن ماذا أفعل وقد رأيتك في منامي وأحلامي؟ أنت، يا حبي الصغير سببت لي أوقاتاً عصيبة.

ابتسمت:

- وهل يجب أن أكون آسفة؟

- أجل.. كيف تجرأت على تدمير راحة بالي بالقول لي أكثر من مرة إنك معجبة بحسين حسني؟

آخر مرة قالت له فيه ذلك حين دخل إلى غرفتها.

سألت: «متى كانت أول مرة؟»

ـ أيتها المرأة الخالية من القلب.. كيف لك أن تنسي؟ كان في اللحظة ذاتها التي قلت فيها إنك غير معجبة بي.

صاحت آسفة: «أوه موري.. وهل جرحت إحساسك؟»

رد بحبور: «ليس كثيراً، فأنت قلت أيضاً إن لا نية لديك في مشاطرته فراشه».

ـ آه! كان هذا في الليلة التي عانقتني فيها وكانت لك الجرأة في القول إنني أثار بسهولة دون الحاجة إلى أن يعجبني الرجل.

قال بهدوء: «عليك مسامحتي على أمور كثيرة.. لم أكن أعرف يومذاك. أنت لم تتأثري بالتأكيد أمام رجل إلى الدرجة التي اتهمتك بها».

ـ لقد عانقتني.. بلطف تلك الليلة..

ـ واستعدت وعيي صباح السبت حيث أدركت أن التأثير الذي لتلك الشقراء عليّ لا يعجبني أبداً.

تنهدت سيل ولكنها تذكرت كم كان مشاكساً عندما رآها في المرة التالية.

ـ إذن لهذا..

قاطعها: «بالضبط.. ولكن إن عدنا إلى الأمسية السابقة، إلى الليلة التي اكتشفت فيها أنك لا تعبئين أبداً.. أعذريني على تعصبي الرجولي حبيبتي، ولكنني أحسست بالرضى بمعرفة هذا، وبدا لي من الطبيعي أن أضمك بين ذراعي».

لكنها كانت مستعدة لمسامحته على كل شيء.

ـ كان هذا يوم جمعة.. في الليلة التي جئت تقول لي فيها إننا ذاهبان إلى الأقصر.

ـ تقصدين الليلة التي عدت فيها من انكلترا، وبينما كان من السهل أن أرسل لك رسالة لأطلب منك أن توضبي حقيبتك، وجدت

نفسي وأنا أنكر أنني اشتقت إليك مضطر للمجيء بنفسي.

ـ لأنك اشتقت إليّ!

ابتسم وقبل أنفها بخفة، ثم اعترف:

ـ لم تكن الأولى عزيزتي.. وكنت أرفض أن أصدق.. أتذكرين اليوم الذي سافرنا فيه إلى القاهرة الاثنين الماضي؟

ـ بالتأكيد. مع أنني لا أستطيع القول إنك كنت بحاجة إليّ في تلك الرحلة.

ـ لم أكن أحتاجك من وجهة النظر العملية.. لكن.. اللعنة يا امرأة كنت قد أمضيت نهاية أسبوع كاملة دون أن أراك. حتى وإن لم أعترف لنفسي، اشتقت إليك، ورغبت في صحبتك بضع ساعات.

تنهدت: «أووه.. إن كنت أحلم فلا توقظني أبداً!»

ـ أنت لا تحلمين حبيبتي.

وضمها إلى قلبه.

جلسا دقائق متعانقين.. ثم سألت:

ـ متى عرفت حقيقة مشاعرك تجاهي؟

ـ تقصدين متى سحبت رأسي من الرمال واعترفت بحبي لك؟ بالأمس في اللحظة التي قلت فيها إنني لا أحتاج إليك، وإن بإمكانك الخروج لمشاهدة الأقصر كما يحلو لك.. فجأة أحسست بحاجة لأريك المكان بنفسي.

ـ أنت!

ـ أجل.. ولهذا هرعت إلى مكتب الاستقبال وانتظرتك لتخرجي من المصعد.

ـ كنت تنتظر..! لم تكن تطرح أية أسئلة؟ لكن كان بالإمكان ألا تراني.. فأنت..

ـ لا مجال.. لقد رأيتك حالما انفتح باب المصعد، وتظاهرت

أنني لم أرك.. كنا في السوق، ونظرت إلى تلك السجادة وقلت: «إنها جميلة!» وأنا أنظر إليك عرفت أنني لم أشعر قط بسعادة أعظم من هذه كلها.. وأنني أستمتع بكل دقيقة أقضيها معك.. ساعتئذ بت غير قادر على التهرب من الحقيقة والحقيقة أنني وقعت في حبك مع أنني حذرتك في البداية من الوقوع في حبي.

- أوه موري!

- عرفت لحظتئذ يا قلبي ويا غاليتي، لماذا شعرت بالأسى العميق حين اضطررت إلى السفر إلى انكلترا يوم الأربعاء.

همست: «كنت ستترك لي مفتاح الخزنة».

- وهل يدهشك أن أنساه، وأنا سأفارقك؟ مع ذلك لم أفهم سوى الأحد أي بالأمس، ما الذي دفعني إلى اصطحابك إلى شقتي في الليلة التي جئت فيها إلى مصر.. ولم أتقبل أن تكون الغيرة هي الدافع إلى إيجاد شقة لك خالية من هاتف والسبب أنك قلت لي إن حسين حسني اعتاد على الاتصال بك في الفندق كل مساء.

- حقاً..؟ لكن.. ولكنني أذكر أنك سألتني إن عاد إلى الاتصال بي كل مساء.. مع أنك تعرف أن لا هاتف عندي!

رفض موري أن يبدو خجلاً:

- لكن هذا لم يمنعه من الاتصال بك في المكتب، صحيح؟ وما منعني من محاولة القول لك إنني بحاجة إلى معرفة كل شيء لأنه ابن بديع.. فيما بعد تساءلت من كنت أحاول أن أقنع: أنت أم نفسي؟

- وعرفت بالأمس أنك كنت تقنع نفسك؟

مرر أصابعه بلطف على جانبي وجهها وقال هامساً:

- أوه.. أجل حبيبتي. عرفت ونحن نأخذ السجادة لنشحنها بالطائرة أنني لا أريد لذلك النهار أن ينتهي وأنني لم أعرف مثل هذا الفرح في داخلي.. لذا وجدت أن أفضل طريقة لإطالة اليوم هي

اصطحابك إلى الغداء.

تنهدت وتمتمت: «وبعد ذلك إلى الكرنك».

- وفي المساء إلى الكرنك ثانية من أجل عرض الصوت والضوء.

همست: «كان كل شيء جميلاً، وكأننا في الجنة».

- ولكنني بسبب غيرتي العملاقة، أفسدت كل شيء حين سمعت وأنا في غرفتي صوت حسين حسني.

- دخلت.. بسرعة.

- ودفعتني غيرتي إلى تجاوز الحد فقد رأيت بأم عيني رجلاً آخر يجرؤ على ضمك بين ذراعيه.. يا عزيزتي.. يا حبي! هل ستسامحينني يوماً على الكلمات والأفعال التي بدرت مني بعد ذلك؟

- لأنك.. ضربت حسين؟

سخر منها: «هه..! كان هذا ينتظره! لا حبيبتي. بل لأنني اتهمتك بإعطائي الضوء الأخضر ذلك اليوم، وهذا ما كنت أرجوه في الواقع.. وكدت أغويك.. ثم اندفعت إلى اتهامك بالعبث مع حسين.. وفوق كل هذا.. طردتك من العمل».

سألت بهدوء: «لماذا فعلت هذا؟»

- لماذا طردتك؟

هزت رأسها: «كل شيء».

- كنت قد فقدت عقلي في ما يتعلق بك حبي العزيز! في الوهلة الأولى تجاوزت مرحلة الغضب من جرأة حسين حسني بوضع يده عليك.. ثم حين عانقتك غضباً، بدأت أفقد سيطرتي على نفسي كلياً ولولا التحفظ الذي أبديته في آخر لحظة لضعفت. في لحظة التردد تلك سمحت للتعقل بالدخول إلى رأسي.. ولم أكن أعرف ما أنا راغب فيه.

قالت بلطف: «وأصبحت لطيفاً».

- لا.. بل في تلك اللحظة من عودة التعقل الشارد، كنت خائفاً.

- خائفاً..؟ أنت؟

ابتسم: «صدقيني.. كنت أريدك بشدة ولكنني خفت واحتجت إلى المساعدة».

صاحت وهي تتذكر كيف أنها وقد تملكتها لحظات خجل، لم تكن قادرة على إيقافه لولا ابتعاده عنها.

- آه..! احتجت إلى الغضب لا إلى الإذعان.

هز رأسه موافقاً: «اضطررت أن أتهمك بتخريب عملي وبالعبث.. ولكنني.. خفت أن أكون في لطفي الذي بدر مني قد كشفت عن حبي لك.. وأعترف سيل أن التفكير المنطقي هجرني حين قررت أنك سرعان ما ستعرفين أنني لا أحبك إذا طردتك من العمل».

- أوه موري.. يا حبيبي المسكين!

- أتسامحينني؟

ابتسمت: «طبعاً».

ساد صمت في الغرفة وهما ينعمان بالعناق، ثم سألها:

- هل قلت لك يوماً إنك فعلاً جميلة، محبوبة، وإنني أحبك من كل قلبي؟

ضحكت: «لا أظن هذا.. إذا كنت مصمماً أن لا أعرف كم.. فما الذي..»

- ما الذي جعلني أقرر أن أقول لك؟

هزت رأسها: «قلت إنني أرعبتك بفراري.. أكان السبب أن...»

- كنت قد قررت قبل هذا أن أحاول معرفة رأيك، لأتأكد إن كان لدي فرصة.. ما إن تركت غرفتك حتى خرجت من الفندق، وأنا بأمس الحاجة إلى لملمة شتات أفكاري. ويبدو أنني سرت أميالاً، قبل أن أدرك أنني بدأت أتعلق بفكرة أنك قد تكنين لي بعض المشاعر.. ففكرت أنه ربما لا ضرورة لإخفاء ما أشعر به تجاهك. استقليت تاكسياً بسرعة ورجعت إلى الفندق.

- لكنني لم أكن هناك.

- فكان أن بدأ الكابوس فعلاً.. وبدأت تتقمين مني آنسة سوفتنغ، أتعرفين هذا؟

ضحكت: «واثقة أن هذا لم يظهر عليك سيد بروكس.. متى بالضبط؟»

- كنت أقود السيارة باتجاه الاسكندرية يوم وصولك إلى مصر، فغفوت وبدأ رأسك يميل، حتى استند أخيراً على كتفي.. هممت بمطالبتك بتقويم جلستك.. لكنني لمّا نظرت إليك لم أستطع إخراج الكلمات. وجدت أنني أعجبت بنظرتك البريئة. وضد كل قناعاتي الداخلية، وقبل أن أدري، اكتشفت أنني بدل أن أصحبك إلى فندق اصطحبتك إلى شقتي.. فهل من الغريب أن أكون مغتاظاً من نفسي، ومنك أيضاً؟

- ولم أكن معجبة بك كثيراً تلك الليلة.

ابتسم موري:

- حبيبتي.. لقد شرحت لك كل ما لدي، لأنني بعد الطريقة التي تصرفت بها معك، أحسست أنك بحاجة لتعرفي حقيقة مشاعري، وعمق حبي لك.. والآن حبيبتي سيل الصغيرة.. أيمكن أن أعرف منك متى اكتشفت أنك تحبينني؟

- عرفت بالتأكيد أنني أحببتك في الليلة التي ذهبنا فيها للعشاء

في منزل بديع حسني.

- في تلك الليلة كنت وغداً لا يُطاق؟

ضحكت: «هذه كانت مشاعري بالضبط.. كنا عائدين إلى الفندق، وكنت سأصعد بالمصعد بمفردي حين أدركت وسط ثورتي عليك لماذا يمكن أن تؤثر تقلبات مزاجك فيّ».

- هل خطر ذلك ببالك قبل تلك الليلة؟

ضحكت: «ماذا أقول؟ كان موجوداً فعندما تمّ العقد رغبت في معانقتك».

مدت نفسها وعانقته متمتمة:

- لأهنئك.. منذ ذلك الوقت أدركت أنني أخادع نفسي عندما أقول لك إنك لا تعجبني وإنني لا أميل إليك. حتى في تلك اللحظات كنت أحبك أكثر مما كنت أكرهك.. وحتى أكون صادقة أعترف أن حبك ابتدأ يتحرك في قلبي منذ صحبتني إلى شقتك.

- أريدك أن تكوني صادقة.

ضحكت ثانية.. فحبه الآن يشعرها بالأمان. وهي تدرك أنه يريد كما أرادت هي أن يعرف كل شيء عن مشاعرها:

- حسناً.. كانت إحدى ردات فعلي تلك الليلة مقاومة تهور كاد يدفعني إلى القول بأن تذهب والوظيفة إلى الجحيم ولكنني عدت وأوهمت نفسي بأنني أريد البقاء لأريك قدراتي ولأرى الأهرامات.. لكنني الآن أعرف أنني بقيت يومذاك لأن فيك ما هو مميز في نفسي.

نظر موري إلى عمق عينيها:

- بالحديث عن الأهرامات حبيبتي.. وإذا كانت معلوماتي الجغرافية صحيحة..

وقف ثم اقتادها إلى باب الشرفة.. وفتح الباب وهو يضمها إليه بذراع واحدة، وأخرجها إلى الشرفة.. في مكان ما، تصاعدت أنظارها من فوق شجرة عطرة إلى يسارها، كانت السماء وردية اللون، ثم تحركت إلى خلفها، يديرها لتنظر إلى يمينها.

شهقت: «موري».

لم تستطع أن تصدق، وصاحت مجدداً: «موري!»

في مكان قريب كانت الأهرامات الثلاثة! فغرت فاها ثانية، لكنها كانت مذهولة فأبت الكلمات الخروج.

شعرت بذهول كامل ورهبة غامرة لمنظر الهرمين الكبيرين والآخر الصغير.

لا تدري كم بقيت واقفة هكذا.. ولكنها تنهدت أخيراً برضى كامل وتركت رأسها يستريح على كتفه.

ارتدّ موري إلى جانبها وأدارها لتواجهه.. رفعت عينيها سعيدة فرأت الدفء في عينيه وهذا ما جعل خفقات قلبها تتسارع من جديد.

- حبيبتي سيل.. لأنني كنت دائم السفر وبعيد عن انكلترا أشهراً طويلة، انتزعت فكرة الزواج من رأسي. وكنت قانعاً.. في الواقع استمتعت بعزوبيتي.. وعرفت دائماً أن عملي يعني لي أكثر من الزواج.. لكن هذا كان قبل أن أقع قلباً وروحاً في حبك.

سحبت نفساً عميقاً، ونفرس في تعابير وجهها. أردف:

- هكذا أجدني أسأل إن كنت توافقين على الزواج بي.. أرجوك.

خفق قلبها خفقة جبارة، وابتلعت ريقها بقسوة.. أحست أنها على وشك ذرف دموع السعادة العاطفية.. وضعت يدها بلطف على وجهه، وابتسمت تقول بصوت مرتعش هامس:

- بما أنك تطلب مني بكل لطف . . فأجل . . سأتزوجك .

همس من بين أنفاسه : «يا حبي» .

تنهد تنهيدة عميقة ثم ضمها إلى قلبه .

* * *

www.liilas.com
طوق الياسمين